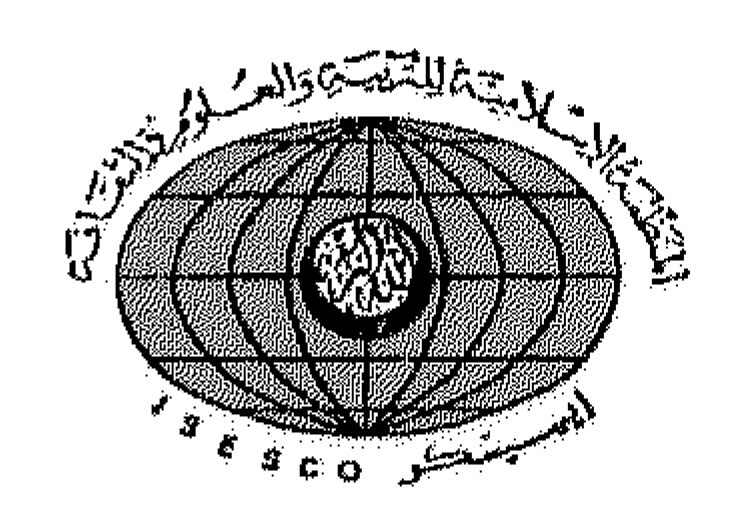


الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- إيسيسكو -

مع الترجمتين الانجليزية والفرنسية

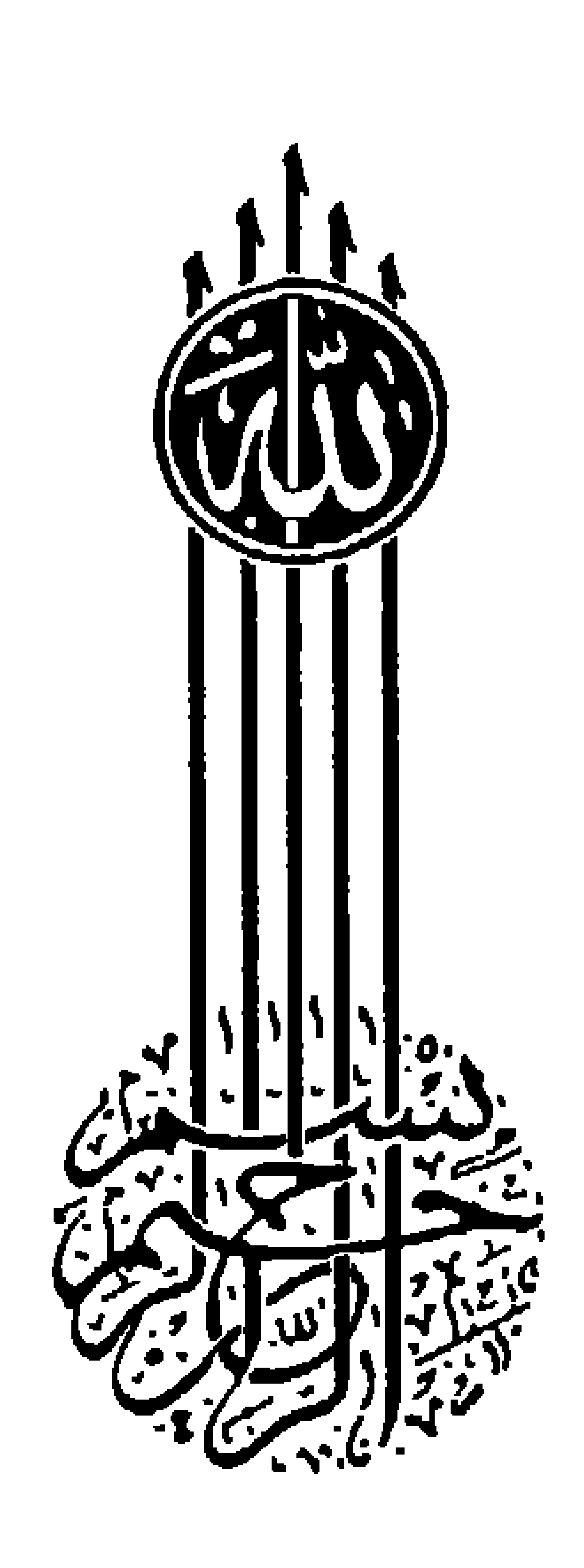
منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو -
1419هـ/ 1998م

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- إيسيسكو -

الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1419هـ/ 1998م

التصفيف والتوضيب بالإيسيسكو
رقم الإيداع القانوني: 1037 / 1998
ردمك : 9981-26-156-4
السحب : مطبعة المعارف الجديدة
الرباط ـ المملكة المغربية



قدّم هذا البحث إلى المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي عقد بالقاهرة في الفترة ما بين 2 - 5 يوليو 1998م، تحت شعار : [الإسلام والقرن الحادي والعشرون].

فهرس

توطئة :

إن من أهمّ القضايا التي تشغل عقول الصفوة من العلماء والمفكرين، وتستقطب اهتمام المشتغلين بالدراسات المستقبلية، والمهتمين بمصير التدافع الحضاري على جميع مستوياته، قضية التعايش بين الأديان، بما تطرحه من مسائل تتشعب عنها، وبما تفرضه من تحدّياتٍ تتخطّى في معظمها، النطاق الديني والحضاري والثقافي، إلى مجالات من الفكر والرأي أوسع، ومساحات من ردود الفعل أرحب.

ولما كانت قضية التعايش بين الأديان بهذا القدر من التأثير في الواقع الإنساني، لزم أن يكون للفكر الإسلامي موقفٌ محدّدٌ إزاءها، يستند إلى رأي حصيف بشأنها، يجلّي الحقائق، ويحدّد المعالم، بعد أن يُزيل الشبهات ويدحضها، ويُفنّد المغالطات ويُبطلها.

ومن هنا تأتي أهميةُ هذا الموضوع الذي سيتناول الإسلام والتعايش بين الأديان، وموقف الإسلام من التعايش في حدّ ذاته، بحسبانه قيمةً راقية من القيم الإنسانية، وموقفه من التعايش مع الأديان باعتبار أنه قضية بالغة الأهمية، تستحق منا النظر والتأمّل والانتهاء فيها إلى موقف واضح يعبّر في حقيقته عن حضارتنا، ويتلاءم في جوهره مع رسالتنا، ويعكس بطبيعته إرادتنا في التعامل العادل مع الأديان والثقافات والحضارات جميعاً.

في مفهوم التعايش :

لا يستقيم لنا الأمر في بحث العلاقة بين الإسلام والتعايش بين الأديان، ما لم نحدّد بدقّة، مفهوم التعايش اصطلاحاً، باعتبار أن التعايش هو المحورُ الرئيسُ للقضية موضوع الدراسة برمتها.

بالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق الإصطلاح، نجد في المعجم الوسيط، **تعايشوا : عاشوا على الألفة والمودّة، ومنه التعايش السلمي، وعَايَشَه : عاش معه. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل**[1].

وإذا دقّقنا في مدلولات مصطلح التعايش (COEXISTENCE) الذي شاع في هذا العصر، والذي ابتدأ رواجُه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي، ـ نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملةٍ من المعاني مُحَمَّلةٍ بمفاهيمَ تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفُها إلى مستويات ثلاثة :

المستوى الأول : سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحدّ من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكُّم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية

(1) "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء 2، ص : 639 - 640، طبعة دار الفكر.

والعسكرية. وقد عُرف التعايش، أول ما عُرف، على هذا المستوى الأول.

المستوى الثاني : اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلةٌ بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث : ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل - تحديداً - معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري. والمرادُ به أن تلتقي إرادةُ أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمنُ والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جوّ من الإخاء والتعاون على ما فيه الخيرُ الذي يعمّ بني البشر جميعاً، من دون استثناء.

وعلى هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم المحدَّد الذي نستخلصه منه، نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومراميه.

لقد وضح لنا من تأمّلنا في هذه الدلالات جميعاً، أن التعايشَ الدينيَّ، أو بعبارة أدقّ، التعايش بين الأديان، يستند إلى أسس أربعة، هي :

الأساس الأول : الإرادة الحرّة المشتركة، بحيث تكون الرغبةُ في التعايش نابعةً من الذات، وليست مفروضةً تحت ضغوط، أيّاً كان مصدرها، أو مرهونةً بشروط، مهما تكن مسبباتها.

الأساس الثاني : التفاهم حول الأهداف والغايات، حتى لا يكون التعايش فارغاً من أي مدلول عملي، أو لا يحقّق الفائدة للطرفين، بحيث يكون القصدُ الرئيسُ من التعايش، هو خدمةَ

الأهداف الإنسانية السامية وتحقيقَ المصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتبابُ الأمن والسلم في الأرض، والحيلولةُ دون قيام أسباب الحروب والنزاعات، وردعُ العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات، واستنكارُ كلِّ السياسات والممارسات التي تُهضم فيها حقوقُ الشعوب، على أي مستوى من المستويات، ومحاربةُ العنصرية والعرقية واستعلاء جنس على جنس، تحت أية دعوى من مثل هذه الدعاوى المتهافتة المردودة الباطلة.

الأساس الثالث : التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، ووَفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش، المصمِّمان عليه.

الأساس الرابع : صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل، ومن الثقة المتبادلة أيضاً، حتى لا ينحرف التعايش عن الخط المرسوم، لأي سبب من الأسباب، وحتى لا تُغلَّب مصلحةُ طرفٍ على مصلحة الطرف الثاني، مهما تكن الدواعي والضغوط، وذلك بأن يتمَّ الاحتكام دائماً إلى القواسم المشتركة، وإلى القدر المشترك من القيم والمثل والمبادئ التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها، يُعزِّز هذا النزوعَ الالتزامُ من الجانبين بما اجتمعت عليه إرادةُ المجتمع الدولي، من مبادئ قانونية استوحاها تطورُ الفكر السياسي الإنساني من قيم الأديان السماوية عبر تراكم المعرفة طوال حقب التاريخ.

لقد عرف، في السياسة الدولية، مصطلح (التعايش السلمي) الذي يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساسٍ من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية. وقد ظهر هذا

المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين راحا يتناحران على أساس عقائدي. ومما ساعد على إبراز الدعوة إلى سياسة (التعايش السلمي) الفزعُ الذّري بعد أن أصبحت القنبلة النوويّة، وهي أداة الدمار الشامل، مشاعةً بين دول المعسكرين. وبعد قيام الجبهة الثالثة وهي مجموعة دول الحياد الإيجابي، أو عدم الانحياز، أكدت الرغبةَ في أن يكون التعايش السلميّ هو السبيل إلى تنسيق العلاقات الدولية في العالم، وإلى نبذ الحرب الباردة وسياسة حافة الهاوية والتلويح باستخدام معدّات الدمار الشامل(2).

وتذهب (الموسوعة السياسية) إلى أن أول من أطلق شعار التعايش السلمي (PEACIFUL COEXISTENCE)، هو نيكيتا خروتشوف، الذي كان لا يعني به تراجعَ بلده الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أهدافه المعلنة، بقدرما كان يعني به محاولته تحقيق تلك الأهداف بطريقة تنسجم مع مقتضيات التغيّرات التي طرأت على المسرح الدولي، كوجود ما يُعرف بتوازن الرعب، كما تذهب إلى أن الغرب يُؤْثِرُ أن يكون المقصود بالتعايش السلمي هو ما يُطلق عليه : (عِشْ وَدَعْ غيرَك يَعِشْ أيضاً)(3).

وهذا المفهوم، كما يبدو، مغايرٌ للمفهوم الأول، من حيث الهدف السياسي والمذهبي في المقام الأول.

---

(2) أحمد عطية الله، "القاموس السياسي"، ص : 310، الطبعة الثالثة 1968، دار النهضة العربية، القاهرة.

(3) "الموسوعة السياسية"، ص : 108، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1974.

غير أننا إذا استندنا إلى المفهوم الأول، ونقلناه إلى مجال التعاون بين الأديان، أمكن لنا أن نقول إن التعايش بين الأديان، إذا تمَّ في حدود هذه المستويات، وقام على هذه الأسس، كان ضرورةً من ضرورات الحياة على هذه الأرض، تستجيب للدواعي الملحة لقاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد، وتلبّي نداء الفطرة الإنسانية السويّة للعيش في أمن وسلام وطمأنينة، حتى ينصرف الإنسانُ في دعة وسكينة، إلى تعمير الأرض، بالمعنى الحضاري والإنساني الواسع لهذا التعمير.

فالتعايش، بهذا الفهم الموضوعيّ لطبيعته ولرسالته، هو اتفاقُ الطرفين على تنظيم وسائل العيش - أي الحياة - فيما بينهما وفق قاعدة يحدّدانها، وتمهيد السبل المؤدّية إليه، إذ أن هناك فارقاً بين أن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الأخيرة يقرّر المرء أن يدخل في عملية تَبَادُلِيَةٍ مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح، أو أهداف، أو ضرورات مشتركة.

ولا يخرج مفهوم التعايش بين الأديان، عن هذا الإطار العام، بأية حال من الأحوال، وإلاَّ فقد خصوصياته، وانحرف عن غاياته، وهذا ما يحتّم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايش بين الأديان. وهو أمرٌ له صلةٌ وثيقةٌ برسالة كلِّ دين من هذه الأديان، وبالمبادئ التي يقوم عليها، وبالقيم والمثل التي يدعو إليها.

وهنا يتعيّن علينا أن نأتي على بيان مختصر مركّز لخصائص الإسلام، ولجوهر مبادئه الداعية إلى الإخاء الإنساني، في مدلولاته العميقة وآفاقه الرحبة.

الإسلام رسالة عالمية :

إن الإسلام هو الدين الذي أوحى به اللَّه سبحانه وتعالى إلى نبيّه ورسوله محمد بن عبد اللَّه، عليه الصلاة والسلام، حين أنزل عليه القرآن مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، فهو رسالةُ السماء الخاتمةُ الجامعةُ لما فيه الخيرُ والصلاحُ للإنسان، في دنياه وأخراه، إلى يوم الدين. فقد بعث اللَّه محمّداً، عليه الصلاة والسلام، رسولاً للعالمين، ولم يبعثه لقومه العرب من دون غيرهم، ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ﴾[4]، ﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً ﴾[5]، ﴿ قل يا أيها الناس إنّي رسولُ اللَّه إليكم جميعاً ﴾[6]. وأكدت الرسالة الإسلامية على الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم، ﴿ يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم ﴾[7]. وقد بلّغ النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، هذه الرسالةَ في حجة الوداع، فتلا الآية، وقال ما خلاصتُه : « ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى »[8]. وهذه الوحدة الإنسانية تتضمّن الدعوة إلى التآلف بالتعارف، وإلى ترك التعادي بالتخالف[9].

---

(4) سبأ : 28.

(5) الأحزاب : 45.

(6) الأعراف : 158.

(7) الحجرات : 49.

(8) من حديث العداء بن خالد في المعجم الكبير للطبراني.

(9) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص : 169، مكتبة القاهرة، الطبعة السادسة 1960، والعنوان الكامل لهذا الكتاب : [الوحي المحمدي : ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام].

ولما كان الإسلام قد أوجب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله﴾[10]، وبيّن أن التفرقة بينهم في الإيمان هي الكفر حقّ الكفر، وأن الإيمان بالجميع بغير تفرقة هو الإيمان حقّ الإيمان، فإن ذلك يؤكّد تأكيداً قاطعاً على عالمية الرسالة الإسلامية، ويثبّت إنسانية هذا الدين. وهذا - كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا - مبنيٌّ على الإيمان بأن دين اللّه تعالى الذي أرسل به جميع رسله واحدٌ في أصوله ومقاصده من هداية البشر وإصلاحهم وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة، وإنما كانت تختلف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الأقوام، ومقتضيات الزمان والمكان، حتى بُعث الرسول العام بالأصول الموافِقة لكل زمان ومكان، مع الإذن بالاجتهاد في المصالح التي تختلف باختلاف الأطوار والأحوال، وقد انفرد بهذه الحقيقة العادلة المسلمون من دون أهل الملل والأديان. فقد كرَّم الإسلامُ بهذا نوعَ الإنسان، ومهد به السبيل للألفة والأخوة الإنسانية العامة[11].

وعالمية الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتين على حضارات الأمم، ومتجاوبتين مع ثقافات الشعوب، مؤثرتين ومتأثرتين. إن الإسلام يُنكر (**المركزية الحضارية**) التي تريد العالمَ حضارةً واحدة، وتسلك سبل الصراع - صراع الحضارات - لقسر العالم على نمط حضاري واحد، لأن الإسلام يريد العالمَ (**منتدى حضارات**) متعدّدة ومتميّزة، ولكنه مع ذلك لا

(10) البقرة : 285.

(11) "الوحي المحمدي"، ص : 153.

يريد للحضارات المتعدّدة أن تستبدل التعصبَ بالمركزية الحضارية القَسْرِيَّة، إنما يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعدّدة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنسانيٌّ عام[12].

وإذا كان الإسلام ديناً عالمياً، فإنه في جوهر رسالته وحقيقة مبادئه، لا يعني أيضاً (المركزية الدينية)، التي تريد العالمَ ديناً واحداً، فهو ينكر هذه المركزية الدينية، عندما يرى في تعدّدية الشرائع الدينية سُنَّةً من سنن اللّه في الاجتماع الديني، لا تبديل لها ولا تحويل ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعَةً ومنهاجاً، ولو شاء اللّه لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾[13]، ﴿ ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، إلاَّ من رحم ربّك، ولذلك خلقهم ﴾[14]، فهو - سبحانه - قد خلقهم للتنوّع والاختلاف، لكنه يريد لكل الملل والشرائع والديانات وحدةً جامعة لتنوّعها، ورابطة ضابطة لاختلافها، وحدة في : توحيد الخالق المعبود، وفي الإيمان بالغيب، وفي العمل الصالح، فهذه هي أصول الدين الإلهي الواحد، التي اتفقت فيها وعليها كلُّ الشرائع والنبوات والرسالات، من آدم، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد، عليهم جميعاً الصلاة والسلام[15].

ومبدأ عالمية الرسالة هو من مبادئ الإسلام الراسخة، وهو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان

(12) د. محمد عمارة "العطاء الحضاري للإسلام"، ص : 121، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

(13) المائدة : 48.

(14) هود : 118 - 119.

(15) "العطاء الحضاري للإسلام"، ص : 119 - 120.

السماوية. ومن هذا المبدأ تنبع رؤية الإسلام إلى التعامل مع غير المسلمين. فلا تكتمل عقيدة المسلم إلاً إذا آمن بالرسل جميعاً، لا يفرق بين أحد منهم. وهذا هو البُعدُ الإنسانيُّ الذي يُعطي للتسامح في الإسلام مساحات واسعة. يقول تعالي : ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان ﴾[16]، ويقول عزَّ من قائل : ﴿ إنّي رسول اللّه إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾[17].

ولا يجوز أن يُفهم هذا التسامُح الإنسانيُّ الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلاتٌ، أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين، فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسّس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس. فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التعارف بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.

إن الحقيقة التي لا شك فيها أن الإسلام يؤكد على إعلاء الرابطة الدينية على كل رابطة سواها، سواء أكانت رابطة نَسَبية أم إقليمية أم عنصرية أم طبقية، فالمسلم أخو المسلم، والمسلم أقرب إلى المسلم من أي كافر بدينه، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، وهذا ليس في الإسلام وحده، بل هي طبيعة كل دين، وكل عقيدة[18].

(16) آل عمران : 2 - 3.

(17) الصف : 6.

(18) د. يوسف القرضاوي، "فقه الدولة في الإسلام : مكانتها، معالمها، طبيعتها، موقفها من الديمقراطية والتعدّدية والمرأة وغير المسلمين"، ص : 197، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.

ولكن الرابطة الدينية هذه لا تنفي روابط شتى تشكّل قاعدةً للحياة المشتركة بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان السماوية. يقول الدكتور يوسف القرضاوي، إن هناك ألواناً من الأخوة يعترف بها الإسلام غيْر الأخوة الدينية، فهناك الأخوة الوطنية، والأخوة القومية، والأخوة الإنسانية[19].

ومن المبادئ الثابتة لعالمية الإسلام والمؤكِّدة لمبدأ التسامح، أن الإنسان مكرَّم بحكم أنه إنسان، ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾[20]. والانتساب لآدم وحواء وشيجةٌ وقربى ورَحِمٌ تجعل من الناس جميعاً أسرة واحدة في شبكة واسعة من أبناء العمومة والخؤولة، ومن هذا المنطلق لابد أن تُصاغ العلائق بين الناس والناس. وتتشعب الأسرة الإنسانية وتنساح في أرجاء الأرض، فلا يني خالقها سبحانه وتعالى يذكرها في قوله ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[21]، وكلمة (لتعارفوا) في الآية تحمل معنيين : الأول أن يعرف بعضكم بعضاً، والثاني أن تتعاملوا فيما بينكم بالمعروف[22]. ومفهوم التعارف ذو سعة، يمكن أن يشمل كلَّ المعاني التي تدلّ على التعاون والتساكن والتعايش، ويمكن أيضاً أن يستوعب التعارفُ قيم الحوار، والجدل بالتي هي أحسن، والاحترام المتبادل.

---

(19) المصدر نفسه، ص : 195.

(20) الإسراء : 70.

(21) الحجرات : 13.

(22) د. حسان حتحوت، "رسالة إلى العقل العربي المسلم"، ص : 153، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998.

الإسلام والتعايش :

ليس ثمّة أبلغ وأوفى بالقصد من الآية الكريمة ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[23]، في الدلالة على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الإسلام. ذلك أن المساحة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة واسعة، وإذا كان الإسلام قد جعل في قلوب المسلمين متسعاً للتعايش مع بني الإنسان كافّة، فقيه من باب أولى، متسعٌ للتعايش بين المؤمنين بالله، وإن كان هذا التعايش لا يعني أننا متفقون في كل شيء، فإذا اشترطتُ ألا أبذل الحسنى إلاّ لمن كان مثلى تماماً (مسلماً أم غير مسلم)، فمعنى ذلك أنني لا أحب إلاّ نفسي. وأن الاختلاف معناه العداوة[24].

إن التعايش في الإسلام ينطلق من قاعدة عقائدية، وهو ذو جذور إيمانية.ولذلك فإن مفهوم التعايش من منظور الإسلام ليس هو من جملة المفاهيم الوضعية الحديثة التي صيغت منها قواعد القانون الدولي. إن المسلم يعتقد أن الهدي الإلهي جاء عبر سلسلة طويلة من الرسالات والنبوات آخر حلقاتها اليهودية، فالمسيحية، فالإسلام، فمن الطبيعي إذن أن تكون هذه الأديان الثلاثة أقرب إلى بعضها بعضاً منها إلى سائر الأديان، ويسمى القرآن المسيحيين واليهود (أهل الكتاب)،لأنّ الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام، قبل أن يتلقى محمد عليه الصلاة والسلام، الرسالة في اكتمالها مصدِّقةً لما بين يديها، ومصوِّبةً ومصحِّحةً ومفصِّلةً

(23) آل عمران : 64.

(24) "رسالة إلى العقل العربي المسلم"، ص : 154.

أمور الشريعة والقانون بجانب العبادات والأخلاق، فنزل القرآن الكريم وهو الوحيد الباقي على أصله الذي نزل به في لغته الأصلية كلمةً بكلمة وحرفاً بحرف[25].

ومن أبرز مظاهر التعايش الذي ساد الحضارة الإسلامية عبر العصور، أن الإسلام يعتبر اليهود والنصارى أهلَ ديانةٍ سماويةٍ حتى وإن لم يكن هذا الاعتبار متبادلاً. وعلى الرّغم من أن عدم الإيمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، هو عندنا أمرٌ عظيمٌ وشأن خطير، بل هو أمرٌ فارقٌ، فإن الإسلام قد استوعب هذا الخلاف، لا بالتهوين من أمره، أو المهادنة العقيدية له، ولكنه بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد[26].

والتسامح في المنظور الإسلامي هو ثمرة التصوّر الإسلامي للإنسان الذي يقوم على أساس معيارين اثنين، أولهما تحديد غاية الوجود الإنساني، التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها، ومن ثم الالتزام بالأسباب التي تتواءم مع هذه الغاية ولا تصادمها، وثانيهما هو مدُّ الوعي بالوجود الإنساني إلى ما وراء الحياة الدنيا القصيرة الفانية، إلى الحياة الخالدة الباقية. لقد خلق اللّه الإنسان لأهداف أخرى غير التي خلق الحيوان من أجلها، ولم يكن خلقه مجرد إضافة حيوان جديد إلى قائمة الحيوان، إنما كان إيجاد جنس آخر من الخلق، خلقه اللّه بقدرته، ليعبد اللّه على وعي، ويعمر الأرض بمقتضى المنهج الرباني، ومن أجل هذه الغاية

---

(25) المصدر نفسه، ص : 154.

(26) المصدر نفسه، ص : 155.

الغاية وهب له ما وهب من المزايا، وأنزل الكتب لهدايته على أيدي الرسل الكرام صلوات اللّه وسلامه عليهم، وكان من أهداف إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط(27).

ومن ضروب القسط أن يسود التعايش بين الأمم والشعوب، بالمعنى الراقي للتعايش الذي يقوم على أساس العدل في المعاملة، والمساواة في العلاقة. وبهذا المعنى فهم المسلمون القسط في قوله تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(28). وقد طبق المسلمون القسط على المستوى اللائق بالإنسان، سواء في معاملة من لا يؤمن بالإسلام وبمبادئه، أو في نظافة المجتمع من الفاحشة، أو في الخدمات الإنسانية التي تقدم للناس، أو في التعاون على البر والتقوى. **ويشهد التاريخ أن معاملة المسلمين لغير المسلمين في البلاد المفتوحة كانت مثالاً رائعاً من التسامح لا مثيل له في التاريخ، ويتضح مدى نبله بالمقارنة مع وضع الأقليات الإسلامية التي تقع تحت سيطرة اليهود** والنصارى والمشركين عامة(29).

ولعلَّ من أكبر الأدلّة وأقوى الحجج على قيام الحضارة الإسلامية عبر العصور على أساسٍ متينٍ من التسامح في أسطع معانيه، هو تعايش المسلمين مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها خلال هذه القرون المتطاولة. ولو ذهبنا

---

(27) محمد قطب، "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية"، ص : 81، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1998م.

(28) الحديد : 25.

(29) المصدر نفسه، ص : 82.

نستقرئ شواهد التاريخ، لما استطعنا أن نحصر في بحث محدود المجال، الأمثلةَ الحيَّةَ على التعايش الإسلامي العديم المثال مع أهل الأديان جميعاً، السماوية منها، وغير السماوية، في حين لا نجد أيَّ مظهر من مظاهر التسامح والتعايش في أدنى مستوياته، لدى غير المسلمين.

ولنا أن نقارن بين مشهدين من المشاهد المؤثّرة في التاريخ الإنساني، الأول هو دخول الخليفة عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس فاتحاً، والثاني هو استيلاء القائدين الصليبيين (جودفري) و(تانكرد) على القدس. وننقل عن المؤرخ (تيلور) ما رواه في كتابه (**عقل القرون الوسطى**) عن المشهد الثاني على لسان أحد القساوسة الذين شاهدوا المدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها، وهو القس (ريموند الأجيلي)، فيقول : «... وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق القلاع، وعذّب آخرون أياماً عدة ثم ألقوا في النيران، وكانت الطرقات مليئة بأكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما ركب جواده وسار، يسير بين جثث الخيل والآدميين»(30).

أما المؤرخ (ول ديورانت) فيروي في موسوعته (قصة الحضارة) عن بعض المعاصرين لهذه الحملة قولهم : «إن النساء كنَّ يقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون

---

(30) تيلور، "عقل القرون الوسطى"، ج : 1 ص : 551، نقلاً عن "تطور المجتمع الدولي" للدكتور يحيى الجمل، ص : 27، دار القلم، القاهرة، 1966. ويتكرّر هذا المشهد بهذه الرواية، في موسوعة "قصة الحضارة"، ج : 4، مجلد : 4، ص : 25.

بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويُقذف بهم من فوق الأسوار، أو تُهشم رؤوسهم بدقّها بالعُمُد. **وذُبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة»**[31].

ونحن لا نسوق هذه الشواهد التاريخية، إلاّ لنؤكّد على أن التسامح في الإسلام أصلٌ أصيل، وأن التعايش بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الكتاب، مبدأ ثابت من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، لا يدفعنا إلى ذلك الرغبة في إنكاء الجراح واستحضار مساوئ التاريخ، إنما يحفزنا إلى الرجوع إلى صحائف التاريخ المشترك بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان والشرائع والملل، حرصنا الأكيد على أن نوضّح، وبقدرما نستطيع إلى ذلك سبيلاً، أن التعايش هو قيمة من القيم التي اصطبغت بها الحضارة الإسلامية عبر الأحقاب.

أما ما وقع عند دخول الخليفة عمر رضي اللّه عنه إلى بيت المقدس، فهو صورة مشرقة للتسامح الإسلامي الذي رسَّخَ قاعدة التعايش الديني والحضاري الثقافي، فقد دخل عمر بيت المقدس، فتلقاه البطريرك وطاف معه أرجاء المدينة حتى دخل كنيسة القيامة، فلما حان وقت الصلاة، قال للبطريرك : أريد الصلاة، فقال له : صلِّ في موضعك، وكان في قلب الكنيسة، فأبى خشيةَ أن يقتدي به المسلمون، ويقولون هنا صلّى عمر، فصارت الصلاة لنا في داخلها حقاً، وقد يؤول بهم الأمر إلى الاستيلاء على الكنيسة

---

(31) ول ديورانت، "قصة الحضارة"، ج : 4، مجلد : 4، ص : 25، الترجمة العربية لمحمد بدران. وهو المجلد الخاص بـ (عصر الإيمان)، ويضم الجزءين 15 و16 من الطبعة العربية التي نشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1988.

مخالفين بذلك ما نصَّ عليه في العهد العُمَري[32] من احترام كنائسهم وتركها بأيديهم، على مظنة أن ما فعله عمر بموافقة البطريرك، تعديلٌ لما شرط في العهد. بل إن عمر خرج وصلى على درج باب الكنيسة، وبعد أن انتهى من صلاته، كتب أمراً بأن لا تُقام في هذا المكان صلاة جماعة، ولا يؤذّن فيه مؤذّن، ثم أتى عمر الصخرة فبنى عليها مسجد الصخرة[33].

وكما سلفت الإشارة، فإنَّ العبرة من رواية هذا الجانب من تاريخ العلاقات الإسلامية ـ المسيحية، تكمن في تنوير العقل بحقيقة تاريخية شديدة الوضوح، وهي أن التسامح في الإسلام هو عقيدة ثابتة وسلوك راقٍ، بل هو منهج حياة طبَّقه المسلمون في حياتهم الخاصة والعامة، فكان تعاملهم مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، مثالاً رفيعاً عزَّ نظيرُه للتعايش. وهو الأمر الذي يؤكد بما لا يرقى إليه الشك، أن المسلمين رواد التعايش، وأنهم يملكون، وفي كل الأحوال، استعداداً ذاتياً ليتعايشوا مع من يرغب من أهل الأديان والشرائع والملل والعقائد، في أن يتعايش معهم، من دون أن يكون هذا الاستعداد، تفريطاً في خاصية من خصائص هويتهم، أو تخلياً عن معتقد من معتقداتهم، أو تنازلاً عن حق من حقوقهم. وإنما هو تعايُشٌ يخدم أغراضاً إنسانية سامية،

---

(32) انظر الرواية المفصَّلة لفتح عمر بيت المقدس، في (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، ج : 4، ص : 159، وفي تاريخ ابن خلدون، ج : 5، ص : 184، وفي (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، ج : 10، ص : 190، وعند كتاب الغرب، انظر "حضارة العرب" لغوستاف لوبون، ص : 287 من ترجمة عادل زعيتر، و(ASHORT HISTORY OF THE MIDDLE, EAST. p. 74) لويلز WELLS.

(33) المستشار عليّ عليّ منصور، "الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام"، ص : 379، دار القلم، القاهرة، بلا تاريخ.

من خلال التفاهم والتعاون والعمل المشترك في الميادين التي تحقّق هذه الأغراض.

التعايش عند غير المسلمين:

مهما تحلّينا بفضيلة نسيان الماضي، وتحكّمنا في المشاعر الدينية استجابةً لضرورات التجرّد الموضوعي في البحث، فلا نملك أن ننكر أن تاريخ العلاقات الإسلامية ـ المسيحية، عبر الأزمنة الغابرة، لم يكن فيه الجانبُ المسيحيُّ يعرف للتسامح معنًى من المعاني، ولم يكن تعامله مع المسلمين يرتقي إلى مستوى التعايش. وليس من البحث العلمي في شيء، ولا من الأمانة التاريخية، أن نتجاوز عن هذه الظاهرة التاريخية المسجّلة في أصحّ المراجع، من دون الإشارة إليها للاعتبار، تحت دعوى التجرّد، أو عدم التعصّب، أو نسيان مساوئ الماضي.

إننا، وبمنتهى التسامح، وبكل الرغبة في التعايش، وبدافع الحرص عليه والاستجابة لدواعيه، نسجّل هنا للعبرة التاريخية، وحتى تستبين لنا معالم السبل، أن أهل الأديان عموماً، لم يكونوا في تعاملهم مع المسلمين طوال المراحل التاريخية، في مستوى التسامح الذي تحثّ عليه تعاليم كل دين، وأن الحضارة الإنسانية خسرت كثيراً بما كان يمارسه أهل الأديان الأخرى من اضطهاد ضد المجتمعات الإسلامية في عصور مختلفة، سواء أكان ذلك في الأندلس، أم في فلسطين، في العصور الوسطى، أم في جميع البلدان الإسلامية التي وقعت تحت نيّر الاحتلال العسكري الأوروبي، وفي الدول التي توجد بها أقليات إسلامية، في العصرين الحديث والمعاصر.

والتسامح الديني الذي عرفته أوروبا مع نشوء حركة الإصلاح الديني، كان تسامحاً بين الطوائف المسيحية، ولم يكن يشمل هذا التسامحُ التعايشَ مع غير المسيحيين. ففي انجلترا على سبيل المثال، نهض بالدعوة إلى التسامح ثلاثة من المفكرين البارزين هم : هارنجتون HARRINGTON، وملتون MILTON، وتايلور TAYLOR، وقد أدرك أوَّلهم أن الحرية السياسية لا تستقيم بغير حرية دينية مطلقة، لأن الحرية الدينية تتضمّن حرية الضمير، وهذه تتضمن بدورها الحرية المدنية، وتكون حرية الضمير متى تمكّن الإنسان من مزاولة عباداته ومباشرة تعاليم دينه وَفقاً لإملاء ضميره وحده، من غير عائق أو تدخّل من الحكومة. وقد أقام ملتون دفاعه عن التسامح على أساس أن قيام الحقّ لا يتطلب الاضطهاد، بالإضافة إلى أن الاضطهاد يعوق اكتشاف الحقيقة[34].

و حتى فيما بين المسيحيين بعضهم مع بعض، لم يكن التسامح عند ظهوره في أوروبا يسري على الجميع، فلقد كان ملتون مع هذا يستثنى الكاثوليك في تطبيقه لمبدأ التسامح، بحجة أن عبادتهم وثنيّة، وأن (العهد القديم) قد نهى عن عبادة الأوثان[35]. وتوجد اليوم في أوروبا رواسب عميقة لآثار التسامح الديني المحدود الذي لم تنعم به طوائف من بين المسيحيين أنفسهم، ناهيك عن غير المسيحيين.

---

(34) د. توفيق الطويل، "قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام"، ص : 123، طبعة دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991.

(35) المصدر نفسه، ص : 124.

مع ذلك، فنحن لا ننكر أن الكنيسة الكاثوليكية فحصت موقفها التقليدي من الإسلام فصححته، فقد جدَّ جديدٌ منذ أيام أوربان الثاني في عام 1095، لنقرأ موقف الكنيسة الكاثوليكية في الوثيقة (نوسترا إيتاتي) التي أصدرها المجمع المسكوني الثاني في عهد البابا بولس السادس في عام 1965، عن موقف الكنيسة من غير المسيحيين جاء فيه عن المسلمين : [**إن الكنيسة تنظر بعين التقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماوات والأرض الذي خاطب البشر، والذين يدينون بالطاعة حتى لأوامر اللّه الخفية، كما دانَ إبراهيم الذي ينتسب إليه إيمان المسلمين، وهم يجلّون عيسى كنبي، وإن لم يعترفوا به كإله، ويبجلون أمه مريم العذراء في تقوى وضراعة، وهم فوق هذا ينتظرون يوم الدين عندما يبعث اللّه الناس ليحاسبهم، ويعظّمون الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة للّه خاصة بالصلاة والزكاة والصوم**][36].

غير أننا نجد في وثيقة بابوية حديثة، ما يجعلنا نتوقف عند فكرة (الحوار بين الأديان)، أو (التعايش بين الأديان)، لا لنعلن عن تراجعنا عن تطبيق مبدأ الحوار والتعايش، ولكن لنتأمّل في عمق دلالة هذا الموقف، وانعكاساتها على مجمل التحركات التي تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية الغربية في اتجاه الدعوة إلى الحوار والتعايش. ونسوق هذا المثال في معرض تناولنا لمفهوم

---

(36) نقلاً عن "رسالة إلى العقل العربي الإسلامي"، ص : 169 - 170، للدكتور حسان حتحوت. وقد كتب هذا الكتاب في الأصل باللغة الانجليزية، ووزّع في الولايات المتحدة الأمريكية، ونعتمد هنا الترجمة العربية التي نشرتها دار المعارف، القاهرة، 1998.

التعايش عند غير المسلمين، وهم هنا بالتحديد المسيحيون، أو بعبارة أدقّ النصارى من أتباع الكنيسة الغربية، حتى نفرّق بينهم وبين النصارى العرب الذين يشاركوننا العيشَ في كنف الحضارة الإسلامية منذ قرون متطاولة. فتحت العنوان الفرعي : "الحوار مع الإخوة من ديانات أخرى"، من الفصل الخامس لرسالة الفادي[37]، تلك الرسالة التي قال عنها البابا بولس الثاني : إنها تتضمن رأيه وموقفه من الإسلام والمسلمين، نطالع ما يلي : «إن الحوار بين الديانات يشكّل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية، فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناء مُتَبَادَلَيْن، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم، إنه بالعكس، مرتبط بها، بنوع خاص، وهو تعبير عنها». ثم يستطر إلى التأكيد على : «أن الخلاص يأتي من المسيح، وأن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل»، بل «إن الكنيسة لا تعتبر أن هناك ثمة أي تعارض بين البشارة بالمسيح والحوار بين الديانات»[38].

وإذا كان هذا النصّ ليس بحاجة إلى تفسير، لأنه شديد الوضوح في تحديد معنى الحوار في نظر البابا يوحنا بولس الثاني، والذي لا يخرج عن كونه مجالاً لمواصلة عملية التنصير وترسيخها، فإن هناك نصّاً آخر ورد في العظة الرسولية المعنوية:

---

(37) في الخامس من شهر أكتوبر 1993، قام الكاردينال راتزنجر، رئيس رهبانية عقيدة الإيمان، بإعلان الخطاب الرسولي الجديد على العالم أجمع، وهو الخطاب العاشر للبابا يوحنا بولس الثاني منذ توليه منصب البابوية في عام 1978. نقلاً عن كتاب "تنصير العالم" للدكتورة زينب عبد العزيز. (انظر هامش 38).

(38) د. زينب عبد العزيز، تنصير العالم : مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني، ص : 106، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995.

«تبليغ التعليم الديني» للبابا يوحنا بولس الثاني أيضاً، أذاعها في عام 1979، جاء فيه : «إن رسالة البشارة متضمنة في الثقافة الإنجيلية التي لا يجب أن تنفصل عنها. إنها تنتقل عبر حوار رسولي مُتَضَمّنٍ بالضرورة في حوار ثقافي بعينه. إن قوّة الإنجيل قادرة على التغيير والتجديد، لذلك لا يجب أن يتغيّر الإنجيل أو يتأثّر عند اتصاله بالثقافات، وعندئذٍ فإن التعليم الديني سيتأصل في مختلف الثقافات،ويُضفي كمال المسيح على قيمها الشرعية»[39].

فإذا كان الحوار بين الثقافات، وبالتالي بين الأديان، هو بهذا المفهوم عند الفاتيكان، فهذا يعني أن التعايش عندهم يرمي إلى تنصير العالم. وهذا بخلاف المفهوم الإنساني السمح للتعايش عند المسلمين. ومما يزيد في إيضاح هذا المفهوم أن الخطاب الرسولي السالف الذكر يؤكّد بالوضوح الكامل على (أهمية تنصير العالم، وخاصة في بلدان ما بعد الشيوعية خشية من استمرارها في الإلحاد، أو من تحوّلها إلى الإسلام. ومن هنا باتت ضرورة ضرب الإسلام على أنه يمثّل الملجأ الوحيد أمام الذين يكفرون بمسيحيتهم عند اكتشافهم كل ما أجرى في عقيدتهم من تحريفٍ، ولا يمكنهم العيش في الإلحاد[40]).

---

(39) المصدر نفسه، ص : 107.

(40) المصدر نفسه، ص : 26.

إن التعايش بين الأديان يفقد جدواه وقيمتَه، حين ينقلب إلى إصرارٍ على استغلاله وتوجيهه الوجهةَ التي لا تخدم الأهداف الإنسانية التي هي موضع اتفاق الأطراف الراغبة في التعايش. إنه في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات الداعية إلى التعايش بين الأديان، يُخطَّطُ على أعلى المستويات لمحاربة الإسلام بصفة خاصة، ويَتَزَامَنُ هذا التخطيط المناوىء للإسلام، مع ممارسة أرقى ضروب التسامح مع اليهود.

ففي ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية، عقد أكبر مؤتمر تنصيري نُشِرَتْ مداولاته ومقترحاته والنتائج التي أسفر عنها، في كتاب ضخم صدرت ترجمته إلى اللغة العربية في 900 صفحة مطبوعة بالحروف الصغيرة. وقد خُصص هذا المؤتمر لبحث قضية واحدة، هي أمثل الطرق لتنصير المسلمين والقضاء على دينهم. وقد جُمع لهذه الغاية ألف مليون دولار، لعلها الخطوة الأولى في تنفيذ هذا المخطط[41]. وبتصفّح هذا الكتاب الضخم، نقف على حقائق مثيرة، تؤكد جميعُها أن النصارى، أو طائفة منهم، إن أردنا الدقة في التعبير والموضوعية في البحث، لا يؤمنون بالتعايش، ولا بالحوار، ولا بالتعاون، وهم إذا نادوا بالتعايش، أو دعوا إلى الحوار، قصدوا بذلك استغلالهما لفرض الهيمنة الدينية التي لا تكاد تختلف في شيء عن الهيمنة السياسية أو الاقتصادية.

ومهما يكن من أمر، فإن المسلمين لا يمنعهم مانعٌ من أن يستجيبوا لدعوة التعايش مع غيرهم من أتباع الأديان الأخرى،

(41) محمد الغزالي،صيحة تحذير من دعاة التنصير، ص :13، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،1991.

حتى وإن كان مفهوم التعايش عند هؤلاء منافياً ـ جزئياً أو كلياً ـ للمفهوم الإنساني المتحضّر الذي يؤمن به المسلمون، لاعتقادهم بأن طبيعة الحياة الإنسانية تقتضي هذا النوع من التعايش الذي يرتقي إلى المستوى الرفيع من التجرّد والإيثار والصدق والإخلاص في العمل لخير بني البشر كافة.

التعايش بين الأديان : كيف ؟ ولماذا ؟ :

قلنا إن التعايش هو ضربٌ من التعاون الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادلين، والذي يهدف إلى غايات يتفق عليها الطرفان، أو الأطراف التي ترغب في التعايش، وتمارسه عن اقتناع وطواعية، وباختيار كامل. فكيف يتم هذا التعايش ؟ ما أساليبه وطرقه ووسائله ؟ ما قنواته ؟ ثم، ما أهدافه وغاياته ؟.

يتعيّن علينا بادئ الأمر، أن نؤكد تأكيداً جازماً، أن التعايش الذي نفهمه، ونؤمن به، والذي نرحب بالتعاون من أجل إقراره، لا يعني بأية حال من الأحوال، تمييع المواقف، وخلط الأوراق، ومزج العقائد وتذويبها وصبّها في قالب واحد، حتى وإن زعموا أنه قالبٌ إنسانيٌّ في الصميم. ذلك أن أصحاب العقائد السليمة لا يقبلون هذا الخلط المريب الغامض، ويرفضون ـ رفضاً بصيراً واعياً ـ أن يفرطوا في خصوصياتهم ومقوّماتهم وقيمهم، خشية أن يوصموا بالتعصب، أو حتى يظفروا بصفة التحرّر من العقد المركبة. إن التعايش الذي يُسلب المسلم هويتَه، ويجعل توازنَه يختلُّ، وكيانَه يهتزّ، هو ليس بتعايش، وإنما هو غشّ واحتيال، وتضليل.

أما إذا كان التعايش، هو أن يحتفظ كلُّ طرف بدينه كاملاً غير منقوص، ويتشبث بمكوّنات هويته وافرةً غير مثلوبة، كان هو عين القصد، وجوهر التعامل الذي نسعى إلى إقامته مع غير المسلمين.

إن التعايش بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمسّ حياة الإنسان من قريب، وليس فيما لا نفع فيه، ولا طائل تحته.

ولعلّ الإطار الذي رسمه الشيخ محمد الغزالي يرحمه اللّه للتعايش، يمثّل في رأينا، الصيغة المثلى لتحديد صورة هذا التعايش بين المسلم وبين غير المسلم، فقد وضع، ثلاثة مبادىء للتعايش والحوار، هي :

أولاً : الاتفاق على استبعاد كل كلمة تخدش عظمة اللّه وجلاله، فأنا وأنت متفقان على أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه لا يُعجزه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض، وأن رحمته وسعت كلَّ شيء، وأنه ليس متصفاً بالنقائص والعيوب التي تشيع بين البشر ...الخ.

ثانياً : الاتفاق على أن اللّه يختار رسله من أهل الصدق والأمانة والكياسة.

ثالثاً : ما وجدناه متوافقاً في تراثنا نردُّ إليه ما اختُلِفَ فيه، وبذلك يمكن وضع قاعدةٍ مشتركةٍ بين الأديان [42].

---

(42) المصدر نفسه، ص : 29.

من هذه القاعدة يمكن أن ننطلق، على سبيل المثال لا الحصر، في اتجاه تعميق البحث العلمي في إطار جهود مشتركة للوصول إلى نتائج تدعم أسس التعايش الذي هو في البدء والختام، التعاونُ بين المؤمنين في الأرض على ما فيه الخيرُ والصلاح للإنسانية جمعاء. والبحثُ العلميُّ النزيهُ عن اتصال الأديان وآثار ذلك الاتصال، خطوةٌ صالحةٌ، في سبيل السلام العالمي، والأخوة الإنسانية، التي سَمَتْ إليها الروح الدينية العالية، وحلمت بها الفلسفة منذ شروق شمس الحياة الفكرية، ثم لا تزال تتطلّع إليها العناصر الكريمة في الحياة العاملة، وهو بحثٌ يوسّع أفق المتدينين، ويدفعهم من التديّن إلى أطهر معانيه، على حين هو في الوقت نفسه، واجبٌ علميٌّ لخدمة الحقيقة، يتولاه الباحثون في تاريخ الأديان، ومقارنتها[43].

والاشتراك في جهود علمية ثقافية في هذا المجال، يعود بالفائدة على المؤمنين جميعاً، لأن هذه الجهود تصبُّ في اتجاه تعميق التفاهم بين أهل الأديان، وإشاعة القيم الإنسانية في أوساطهم، وإقامة جسور للتقارب الإنساني الذي يعلو على التقارب الفكري والثقافي.

والتعاون بين الأديان في المحافظة على سلامة البيئة، وفي محاربة الأمراض الخطيرة، وفي القضاء على التفرقة العنصرية، وفي رفع الظلم عن الشعوب والطوائف والفئات التي تتعرض للاضطهاد، هو مجالٌ واسعٌ للتعايش بين المؤمنين.

---

(43) د. أمين الخولي، صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، ص : 17، ضمن الأعمال الكاملة، كتاب رقم : 9- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

كذلك ينبغي أن يشمل التعايش بين الأديان العملَ المشترك لمحاربة الإلحاد، والانحلال الخلقي، وتفكك الأسرة، وانحراف الأطفال، ومقاومة كل الآفات والأوبئة التي تتهدّد سلامة كيان الفرد والجماعة، وتضر بالحياة الإنسانية.

ويجب أن يتسع مفهومُ التعايش بين الأديان للقضاء على أسباب التوتر واضطراب حبل الأمن والسلام وعدم الاستقرار في أنحاء عديدة من العالم، مثل فلسطين، والبوسنة والهرسك، وإقليم كوسوفو، وكشمير، والفليبين، وفي مناطق كثيرة في أفريقيا وآسيا، فيكون العمل في هذا النطاق تعايشاً نافعاً ومُجدياً وذا تأثيرٍ في حياة الناس وواقعهم المعيش. وبذلك يصير التعايش بين الأديان وسيلةً فعالة لدعم جهود المجتمع من أجل السلام وإقامة العلاقات السليمة بين الشعوب والأمم في ظلّ سيادة القانون الدولي، واحترام حقوق الإنسان، وإقرار الحريات الأساس المنصوص عليها في المواثيق والعهود والأوفاق الدولية.

وينبغي أن يتجه التعايش بين الأديان نحو إنصاف المظلومين والمقهورين في الأرض جميعاً من دون استثناء، وإلزام كل من يمارس الظلم والقهر والإرهاب على مستوى الدولة أو على مستوى الأفراد والجماعات، باحترام أحكام القانون الدولي، والانصياع إلى تعاليم الأديان السماوية. ولا يجوز أن يُخرج التعايش بين الأديان من نطاق اهتماماته، محاربةَ الظلم والعدوان والاستيلاء على أراضي الغير بالقوّة، تحت أية دعوى من الدعاوي، أو مهادنة الجهة التي ترتكب هذه الجرائم بحجة عدم الخوض في المسائل السياسية، فمن أهداف التعايش بين الأديان، العملُ على إقرار مبادئ الحق والعدل واحترام كرامة الإنسان من

حيث هو إنسان وكفى. فهذه المبادئ والتعاليم هي القاسم المشترك بين جميع الأديان.

ويجب أن يكون التعايش بين الأديان دعماً للجهود الخيّرة التي يبذلها المجتمع الدولي من أجل التعايش الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب، وأن يكون قوّة دفع لهذه الجهود نحو تطويرها، وإغنائها، وتعميمها. وحتى يكون التعايش بين الأديان في خدمة السلام العادل، يجب أن تتحرّر الأطراف المشاركة فيه، من كل القيود والضغوط والارتباطات التي تتعارض ومبادئ هذا التعايش وأهدافه.

إن هناك تأثيراً واضحاً لليهودية الصهيونية على بعض الأطراف المسيحية، تتجلى مظاهرهُ في مواقف عديدة تصبُّ جميعَها في الاتجاه المناهض للحقائق التاريخية. وعلى سبيل المثال، ظهرت في بريطانيا أولاً، ثم في الولايات المتحدة الأمريكية حركات دينية مسيحية إنجيلية، أهمها وأقواها هي ما يُعرف بالحركة التدبيرية - DISPENSATIONALISM - وهذه الحركة تؤمن بأن في الكتاب المقدس، وخاصة في سفر حزقيال، وسفر الرؤيا، وسفر يوحنا، نبوءات واضحة حول الوصايا التي يحدّد اللّه فيها كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته : عودة اليهود إلى فلسطين، قيام إسرائيل، وقوع محرقة "هَرْمَجَدُّون" النووية، انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين، وظهور المسيح المُخَلِّص، مبادرة من بقي من اليهود إلى الإيمان بالمسيح، انتشار السلام في مملكة المسيح مدة ألف عام. وهي حركة تضم أكثر من أربعين مليون أمريكي، وكان من بين أعضائها الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، وتسيطر هذه الحركة على قطاع واسع من المنابر

الإعلامية الأمريكية، وبصورة خاصة المتلفزة، ويشارك قادتُها كبارَ المسؤولين الأمريكيين في البيت الأبيض، والبنتاغون، ووزارة الخارجية، في صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية من الصراع العربي - الصهيوني. وأتباع هذه الحركة يؤمنون بأن اليهود هم شعب اللّه المختار، وبحقّ اليهود في التجمّع في أرض فلسطين. وهذه الحركة هي الأساس الراسخ للصهيونية المسيحية(44).

وعلى الرغم من أن هناك كنائس مسيحية كاثوليكية في الدرجة الأولى، وحتى كنائس إنجيلية، مثل الكنيسة المشيخية (بالإضافة إلى الكنائس الشرقية الأرثوذكسية)، تنبذ هذه الأفكار وتعتبرها دخيلةً على المسيحية ومُقوِّضة لأركانها الإيمانية(45)، فإن قوّة هيمنة هذه الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية، تجعلها نافذة وقادرة على الانتقال والتوسّع والامتداد، وإن كان في أشكال مختلفة. وقد رأينا في الفترة الأخيرة كيف أن الفاتيكان قد اتخذ قرارات تاريخية بإزاء اليهود تدخل في صميم العقيدة المسيحية المتوارثة جيلاً بعد جيل، وهي قرارات تخدم في المقام الأول السياسةَ الصهيونية.

من أجل هذا كلّه، ينبغي الحذر من أن يقع التعايش بين الأديان تحت تأثير مثل هذه الحركات والأفكار التي تبرأ منها المسيحية، والتي تخدم أهدافاً سياسية خطيرة تتعارض مع الأهداف الإنسانية النبيلة، لأن أي طرف مسيحي يشارك ويندمج

---

(44) جريس هالسل، النّبوءة والسياسة، ص : 12 من مقدمة المترجم محمد السماك، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1998.

(45) المصدر نفسه، ص : 13.

في التعايش بين الأديان، يقع تحت تأثير مثل هذه الحركات ـ التي يحقّ لنا أن نصفها بأنها هدّامةٌ للتعايش من حيث هو ـ من شأنه أن يعرّض كلَّ جهد يبذل في هذا المجال للخطر، بأن يفقده جدواه ويفرغه من قيمته ويسلبه أهميته.

إن التعايش بين الأديان، الذي هو في الوقت نفسه تعايُشٌ بين الثقافات والحضارات، إن لم يكن الهدف منه خدمة الأهداف السامية التي يسعى إليها الإنسان، ضاع المعنى الإيجابي منه، وصار إلى الدعاية واللجاجة، أقرب منه إلى الصدق والتأثير في حياة الإنسان المعاصر. ومن أجل ذلك، يتوجب علينا نحن المسلمين، أن ندقّق في الأغراض والمرامي التي تنطوي عليها الدعوات التي تصدر عن بعض الأطراف إلى الحوار مع الأديان والثقافات والحضارات، والتي تدعونا إلى التعايش مع أهل هذه الأديان والمنظومات العقائدية، حتى لا نكون ضحية للغشّ الثقافي والديني، الذي هو أشدّ خطراً وأقوى أثراً وأسوأ عاقبةً، من الغشّ التجاري والصناعي.

إننا، ومن واقع تقديرنا للمخاطر التي تتهدّد البشرية في هذه المرحلة من التاريخ، نؤمن بأن التعايش مع الأديان بصفة خاصة، ضرورةٌ من الضرورات الملحة التي يفرضها الحفاظُ على سلامة الكيان الإنساني، ويُمليها الحرصُ المشترك على البقاء الحرّ الكريم فوق هذا الكوكب.

ولا يخامرنا شك في أن التعايش بين الأديان، سيكون أشدّ إلحاحاً في المستقبل القريب، لما يبدو لنا من مؤشّرات في الأفق تؤكّد جميعُها على أن القرن الحادي والعشرين، سيعرف أزمات شديدة الوطء على المستوى السياسي والاقتصادي، وعلى الصعيد

الحضاري والثقافي معاً. وفي مثل هذا المناخ، تتضاعف أهمية رسالة الأديان السماوية، وتتعاظم مسؤولية المؤمنين في الدّفع بالتعايش بين الأديان نحو الاتجاه الصحيح، عملاً بالتوجيه الربّاني في قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلاّ اللّه، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾[46].

ويمكن لنا أن نستنبط من هذه الآية الكريمة القاعدة الشرعية التي تحدّد موقف الإسلام من التعايش بين الأديان. إن (كلمة سواء) التي أمر اللّه سبحانه وتعالى نبيّه محمداً صلى اللّه عليه وسلم، بأن يدعو أهل الكتاب إليها، يأتي بيانُها المفصّلُ في ثلاثة أمور رئيسة، هي إن كانت تدور حول التوحيد والإقرار بالربوبية والألوهية للّه عزّ وجل، فإن الحسّ المؤمن يستمدّ منها معاني وإشارات ذات علاقة بواقع الناس في معاشهم وحياتهم، وهي :

أولاً : ألاّ نعبد إلاّ اللّه؛

ثانياً : ولا نشرك به شيئاً؛

ثالثاً : ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه.

فهذه الآية هي القاعدة الذهبية للتعايش بين الأديان، لأنها تدعو إلى إفراد اللّه بالعبودية، وإلى عدم الإشراك به، وإلى رفض الطغيان والجبروت والكبرياء وفرض الهيمنة، وذلك بأن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون اللّه، يستوحون منهم التعاليم والمبادئ، أو يخشونهم، أو يخضعون لما يملكونه من قوّة باطشة، مما يؤدي إلى خلل في الكيان الإنساني، وإلى الفوضى في العالم.

---

(46) آل عمران : 64.

فليكن التعايش بين الأديان إذن، من أجل اللّه وحده لا شريك له، ومن أجل الحياة الإنسانية الحرّة الكريمة، في ظلّ الإيمان والخير والفضيلة وما فيه مصلحةُ الإنسان في كلّ الأحوال.

Ce verset coranique met à notre disposition une règle générale définissant la position de l'islam à l'égard de la coexistence entre religions. Le mot d'ordre lancé par Allah par «Formule moyenne» à son Prophète Mohammed, que la Prière et le Salut soient sur lui, consiste en trois points : si le dialogue avec les Gens du livre doit se faire sur la question de la reconnaissance de l'unicité de la personne divine, les Croyants doivent se mettre d'accord sur trois principes essentiels :

1- N'adorer que le seul Allah

2- Ne rien lui associer

3- Ne pas élever des êtres humains au rang d'Allah.

Ce verset donne la règle d'or de la coexistence entre les religions car il appelle à la reconnaissance d'Allah, à la foi monothéiste et au rejet des formes d'oppression. Dans cet esprit, les Croyants sont tenus de ne craindre qu'Allah et de refuser de se soumettre à la tyrannie de despotes. Ces pratiques excessives sont périlleuses car elles peuvent porter préjudice à l'ordre du monde. Il est, donc, nécessaire de vouer la coexistence religieuse à Allah l'Unique, au service de la vie humaine digne, le tout en s'inspirant des valeurs de la foi, du bien et de la piété.

religions et les autres systèmes de valeurs. Cette précaution nous épargnera d'être victimes du brouillage culturel et religieux, forme la plus pernicieuse aux effets plusieurs fois plus nuisibles que ceux de la tricherie en matière de commerce et d'industrie.

Conscients que nous sommes des menaces qui guettent l'humanité, nous avons la certitude que la coexistence entre les religions est une des nécessités impérieuses qui garantissent la survie du genre humain.

Dans le proche avenir, ce besoin se fera plus pressant, la raison étant les multiples signes avant-coureurs du vingt et unième siècle. De profondes crises politiques et économiques, mais aussi civilisationnelles et culturelles, éclateront certainement. Dans ce contexte, le rôle des religions révélées et des croyants s'accentue davantage, notamment pour la promotion de la coexistence entre les religions sur la bonne voie, répondant ainsi au commandement divin : *«Dis : «O Gens du livre, venez à une formule moyenne entre vous et nous: de n'adorer que Dieu sans rien lui associer, de ne pas nous prendre les uns les autres pour maîtres en place de Dieu. S'ils se dérobent, eh bien ! dites : «témoignez que nous sommes de ceux qui se soumettent»*[46].

46- Sourate Al Imrane, verset : 64.

jugent en rupture avec les dogmes du christianisme[45],la prépondérance de ce mouvement est grande aux Etats-Unis d'Amérique. Son influence sert les desseins d'expansion sous des formes diverses. Dans le dernier chapitre, nous avons vu que le Vatican avait pris des décisions historiques en faveur des juifs, qui ont l'inconvénient de mettre à mal quelques fondements traditionnels de la religion chrétienne, servant ainsi les intérêts de la politique sioniste.

Pour ces raisons, il est important d'être vigilants pour éviter que la coexistence religieuse ne subisse les effets pernicieux de l'action de ces mouvements qui servent des desseins politiques en rupture avec les principes du christianisme et les valeurs humaines nobles. Toute doctrine ou groupe chrétiens qui tombent sous la coupe de ces mouvements risquent de porter atteinte aux efforts de coexistence, en les vidant de leur raison d'être .

Si la coexistence religieuse, synonyme de la coexistence civilisationnelle et culturelle, n'aspirait pas à servir les nobles desseins de l'humanité, elle risque de se vider de son sens et de se réduire à des slogans creux. A cet égard, les musulmans sont tenus d'être attentifs aux objectifs qui sous-tendent les appels de certaines parties au dialogue et à la coexistence entre les

---

45- Ibid, p. 13.

qui soutient que la Sainte Bible, notamment les Chapitres d'Ezéchiel, de la Révalation et de Jean évoque certains signes avant-coureurs de la fin du Monde, comme le retour des Juifs en Palestine, l'avènement d'Israël, l'incendie nucléaire «d'Armageddon», la dévastation et la désolation, le décès de millions d'âmes humaines, l'avènement du Christ le Sauveur, la conversion des juifs au Christianisme et l'instauration de la paix dans le royaume millénaire du Christ. Ce courant compte plus de quarante millions d'adeptes, dont l'ancien président Ronald Reagan, et contrôle une large partie des médias américains, notamment des chaînes de télévision. Ses leaders s'associent aux éminents responsables à la Maison Blanche, au Pentagone et au Secrétariat d'Etat pour concevoir les orientations politiques et militaires destinées à gérer le conflit arabo-sioniste. Les adeptes de ce mouvement ont la conviction que les juifs sont le peuple élu et que ceux-ci ont le droit de posséder les territoires palestiniens. Ce mouvement est ainsi le socle du sionisme chrétien[44].

Bien que nombre d'églises chrétiennes catholiques et d'autres évangélistes (en plus des Eglises orientales orthodoxes), réfutent le bien-fondé de telles idées qu'elles

---

44- Jariss Halsel, **La Prophétie et la Politique,** p. 12. Extrait de l'introduction du traducteur Mohammed Assammak, Dar Achchorouk. Quatrième édition, le Caire, 1998.

prescriptions des religions révélées. C'est, ainsi, que la coexistence religieuse doit intégrer, dans ses préoccupations, la lutte contre la tyrannie et la spoliation de terres par l'usage de la violence, pour quelque raison que ce soit. Tout compromis avec les responsables de tels actes infâmes doit être exclu, même s'il s'agit de contourner les considérations politiques car il est dans l'essence de la coexistence religieuse un objectif primordial portant sur l'affirmation des valeurs de la justice et du respect de la dignité humaine. Ce sont là les communs dénominateurs à toutes les religions.

De plus, la coexistence religieuse doit tenir lieu de valeur auxiliaire servant à renforcer les efforts déployés par la communauté internationale dans le sens de la création d'un climat pour la coexistence civilisationnelle et culturelle entre les peuples et les nations. Ce sera ainsi le moteur qui devra promouvoir et enrichir ces efforts pour servir les fins de la paix juste, les parties engagées dans le processus de coexistence devant se défaire des contraintes et des entraves pouvant entrer en contradiction avec les valeurs de la coexistence.

Le mouvement judaïque et sioniste exerce des influences évidentes sur certaines catégories de chrétiens. Ainsi ont émergé des positions qui tendent à altérer certaines vérités de l'histoire. A titre d'exemple, la Grande Bretagne et les Etats-Unis d'Amérique ont vu naître des courants évangéliques, dont le plus important reste le mouvement dispensationaliste,

graves, de lutte contre les formes de ségrégation, de dissipation de l'oppression excercée sur les peuples, les doctrines et les catégories brimées, c'est là un cadre assez large pour la coexistence entre les croyants.

Cette même coexistence doit envisager l'action commune, visant à lutter contre l'athéisme, la dépravation morale, la désagrégation de la cellule familiale, la délinquance infantile et les épidémies qui menacent la sécurité de l'individu et de la communauté et portent atteinte à la vie de l'homme.

Le cadre de la coexistence religieuse doit s'élargir davantage pour juguler les foyers de tension qui mettent en péril la paix, la sécurité et la stabilité dans différentes régions du globe comme la Palestine, la Bosnie-Herzégovine, la Province du Kossovo, le Cachemire, les Philippines et différentes régions d'Afrique et d'Asie. Cette action concertée sera profitable pour la communauté des hommes. En procédant de la sorte, la coexistence religieuse devient un moyen pour renforcer les efforts de la société visant à mettre en place la paix, le droit international, le respect des droits de l'homme et l'affirmation des libertés stipulées dans les conventions et les accords internationaux.

D'autre part, la coexistence entre les religions doit tendre à rendre justice aux opprimés de la terre, en contraignant les oppresseurs, qu'ils soient de l'Etat, de la société ou de simples individus, à se plier aux dispositions du droit international et

En convenant de cette plate-forme, il est possible de concevoir une recherche scientifique plus approfondie qui engage des efforts communs, le but étant de consacrer les bases de la coexistence, ce qui reste, en premier et dernier lieux, la voie de coopération entre les croyants sur terre. Une telle démarche, qui se départ de l'influence religieuse, est très avantageuse pour la paix mondiale et la fraternité humaine, nobles idéaux de toute religion. Ce sont là les rêves bercés par la pensée philosophique depuis l'aube de la vie intellectuelle. Ce genre de quête élargit l'horizon des croyants, les incitant à s'attacher à la valeur la plus relevée de la religion. Il est, en outre, une des tâches que doivent remplir les spécialistes de l'histoire et des études comparées des religions(43).

Participer à cette oeuvre scientifique est d'un intérêt certain pour l'ensemble des Croyants. Celle-ci tend effectivement à consolider l'entente entre les croyants, à diffuser les valeurs humaines entre eux et à mettre en place les passerelles du rapprochement humain qui outrepasse le cadre du rapprochement intellectuel et culturel.

La coopération entre les religions en matière de préservation de l'environnement, de lutte contre les maladies

---

43- Dr Amine Al Khouli, **Influence de l'Islam sur la réforme du christianisme**, p. 17, partie de son oeuvre complète, Tome 9, l'Instance Egyptienne publique du Livre, le Caire, 1993.

doivent s'appuyer sur les principes de confiance et de respect mutuels et partir de la volonté d'oeuvrer pour le bien de toute l'humanité, notamment dans les secteurs d'intérêt commun. En revanche, la tolérance ne doit pas concerner les autres volets qui ne seront d'aucun profit pour l'homme.

A notre avis, le modèle de coexistence proposé par Cheikh Mohammed Al Ghazali, qu'Allah l'ait en sa sainte miséricorde, est exemplaire car très représentatif de l'image de coexistence qui doit lier le mususlman au non-mususlman. Trois principes ont ainsi été avancés par l'Imam, pour illustrer les valeurs de la coexistence et du dialogue :

1- Se mettre d'accord pour exclure tout vocable attentatoire à la grandeur d'Allah, les parties concernées convenant de l'omniscience d'Allah, de son omnipotence, de sa miséricorde incommensurable et de sa pureté, etc.

2- S'accorder sur le fait qu'Allah élit ses prophètes parmi les hommes communs pour leur honnêteté et leur sagesse.

3- Trancher les questions litigieuses sur la base des principes de jugement communs et adopter ces principes comme plate-forme propre à toutes les religions(42).

42- Ibid, p. 29.

La coexistence des religions : Comment ? Pourquoi ?

La coexistence est l'une des formes de la coopération qui doit se fonder sur les principes de la confiance et du respect mutuels. L'intérêt de cette coexistence est de réussir à atteindre les objectifs communs aux parties désireuses de coexister. Comment faire pour la concrétiser ? Quels canaux ? Quels objectifs ?

Avant d'entrer dans le vif du sujet, il importe de préciser que la coexistence ne veut pas dire, dans notre conception, la banalisation des prises de position, l'amalgame des convictions, ou l'aliénation des religions à un modèle unique, fût-il à vocation humaine. Et pour cause, les vrais croyants ne peuvent s'accommoder de ces confusions qui tendent à escamoter les spécificités, les valeurs et l'identité de chaque religion, même s'ils encourent le risque d'être taxés d'extrémisme ou la chance d'être qualifiés d'esprits libres. Loin de revêtir son sens pelin, la notion de tolérance serait, dans le cas de concessions, synonyme de perfidie et de pervertissement.

En revanche, si l'acception de la tolérance garantit à chaque religion la possibilité de conserver ses principes et ses particularités, elle aura rencontré le vrai dessein qui conditionne toute action de coopération avec le non musulmans.

Pour arrêter les modalités de mise en oeuvre de l'idéal de coexistence avec les adeptes d'autres religions, les musulmans

pour l'évangélisation des musulmans et la destruction de l'islam. Les fonds alloués à ce projet ont atteint mille millions de dollars. C'est là la première démarche pour la mise en application de ce plan(41). En feuilletant cet ouvrage, il est possible de découvrir des vérités ahurissantes convergeant toutes à affirmer l'absence du sens du dialogue, de la coexistence ou de la coopération chez les chrétiens, ou du moins chez certaines catégories de chrétiens. S'ils appellent au dialogue et à la coopération, il faut comprendre qu'il s'agit là d'une manoeuvre visant à tirer parti de ces deux slogans pour asseoir les bases de leur prépondérance religieuse, celle-ci ne différant en rien de l'hégémonie politique ou économique.

Quoi qu'il en soit, les musulmans ne sont pas censés repousser, de ce fait, toute idée de dialogue et de coexistence avec les adeptes des autres religions. Cette attitude positive doit rester la leur en dépit de l'inadéquation du dialogue proposé avec les principes humains. Leur foi doit rester inébranlable que la nature de la vie humaine réclame ce type raffiné de tolérance qui suppose, à son tour, l'objectivité, l'altruisme, la sincérité et l'honnêteté, le tout au service du bien du genre humain.

41- Mohammed Al Ghazali, **Mise en garde contre les tenants de l'évangélisation,** p : 13, Dar Assahwa pour l'Edition, le Caire, Première édition, 1991

musulmans. Cette orientation est clairement esquissée dans un passage extrait de la lettre apostolique susmentionnée, où il est dit expressément «**la nécessité d'évangéliser le monde, particulièrement les pays sortis de l'emprise communiste, qu'il s'agit de convertir au Christianisme pour contrecarrer les tentations de l'athéisme et celles de l'Islam. C'est sur cette base qu'il importe de saper l'Islam qui constitue l'ultime recours pour les apostats du christianisme qui découvrent les déviations de leurs religions, mais qui refusent de se laisser abandonner à l'athéisme**»[40].

La coexistence des religions perd tout son sens lorsqu'elle est instrumentalisée à des fins autres que celles qui reçoivent l'accord des parties désireuses de coexister. A l'heure où des voix s'élèvent en faveur de la coexistence des religions, des plans sont imaginés pour combattre l'Islam en particulier, alors que la tolérance la plus achevée est affichée à l'égard des Juifs.

Dans l'Etat américain du Colorado a eu lieu la plus grande conférence évangélique qui a publié ses travaux dans un ouvrage volumineux. La version arabe a été sortie en 900 pages, rédigées en petits caractères. Un seul point a dominé l'ordre du jour de cette conférence : la recherche des meilleurs moyens

---

40- Ibid', p. 26

aucune rupture entre l'évangélisme et le dialogue entre les religions »[38].

Ce texte est d'une transparence telle qu'il en ressort clairement que le dialogue entre les religions est réduit dans l'esprit du Pape Jean Paul II, à une continuation de l'évangélisation. Il est un autre document intitulé **«la transmission du catéchisme religieux»**, de son auteur Jean Paul II, publié en 1979, et dans lequel celui-ci disait : **«La Mission fait partie intégrante de la culture évangélique. Elle se transmet à travers un dialogue apostolique. L'Evangile a la force nécessaire pour assurer le changement. C'est pourquoi cette source ne doit subir aucune altération au contact des autres cultures. En préservant sa pureté, les enseignements du catéchisme pourront s'insinuer dans les différentes cultures pour les imprégner de la pureté du Christ»**[39].

Si le Vatican conçoit le dialogue entre les cultures sous cet angle, ce dialogue consisterait à entreprendre l'évangélisation du monde entier. Cette conception entre en contradiction avec le principe de coexistence chez les

---

38- Dr Zainab Abdulaziz, **L'Evangélisation du monde : Analyse du Message du Pape Jean Paul II,** p. 106, Dar Al Wafae pour l'Edition et la Publication, Première édition, 1995.

39- Ibid, p. 107.

occidentale en matière de dialogue. Cet exemple contribuera à mieux clarifier l'appréhension des chrétiens adeptes de l'Eglise catholique occidentale de la notion de coexistence avec les autres religions. Nous excluons évidemment la catégorie des chrétiens arabes qui ont vécu depuis des siècles en totale harmonie avec les musulmans sous l'ombrelle de la civilisation islamique. Dans la section V de la lettre : **le Rédempteur**(37) publiée par le Pape Paul II, et intitulée **"le dialogue avec nos frères adeptes d'autres religions"**, il est dit : **"le dialogue entre les religions appartient en propre à la mission de l'Eglise qui le considère comme un moyen efficace pour une connaissance et un enrichissement mutuels. Ce principe de dialogue n'entre pas en contradiction avec la vocation missionnaire de l'Eglise qui doit aller vers les peuples. Il est même l'expression de cette mission»**. Le Pape n'a pas manqué de souligner **«que le Salut était entre les mains du Christ»** et que **«le dialogue ne dispensait pas les chrétiens de faire connaître le message de l'Evangile, l'Eglise ne voyant**

37- Le 5 d'octobre 1993, le Cardinal Ratzinger, Préfet de la Congrégation de la Doctrine de la Foi, a adressé le nouveau Message apostolique au monde enier. Il s'agit du dixième message du Pape Jean Paul II depuis son investiture à la tête du Pontificat en 1978. Extrait de l'ouvrage intitulé : **Evangélisation du monde,** de son auteur Dr. Zainab Abdulaziz. (Voir Note 38).

Paul VI en 1965 : «**l'Eglise nourrit de l'estime pour les musulmans qui adorent Allah, l'unique, le vivant, ..., le créateur des cieux et des terres, qui a révélé ses messages aux humains. Les musulmans ont une foi profonde dans les prescriptions d'Allah, qu'ils observent scrupuleusement. Fidèles à la tradition d'Abraham, ils vouent un profond respect au prophète Jésus, sans pour autant reconnaître sa nature divine. Tout comme ils tiennent en haute estime la vierge Marie, qu'ils respectent non sans beaucoup de ferveur. Ils croient en le Jour du Jugement Dernier, sont très soucieux de la rectitude de leur conduite morale et accomplissent leurs obligations religieuses comme la prière, l'aumône légale et le jeûne**»(36).

En revanche, on est légitimement interpellé par la teneur d'un document papal récent qui nous invite à méditer sur l'idée de **«dialogue entre les religions»** ou de **«coexistence entre les religions»**. Cette réflexion n'a pas le sens d'une négation des principes de dialogue et de coexistence. Elle marque plutôt un temps d'arrêt pour cerner la portée d'un tel revirement et ses retombées sur les initiatives de l'Eglise catholique

---

36- Passage extrait de l'ouvrage intitulé : **Risala Ila Al Akl Al Arabi Al Moslim,** de son auteur Hassan Hathout, pp. 169-170. Cet ouvrage, de langue anglaise, a été diffusé aux Etats-Unis d'Amérique. Nous avons adopté la traduction arabe qui a été éditée par Dar Al Maarif, le Caire, 1998.

pratique du culte, sans influence des gouvernants. Pour défendre l'idéal de tolérance, Milton avait soutenu que l'oppression ne favorisait pas un climat propice à la découverte de la vérité, encore moins la prédominance des valeurs de la justice(34).

La tolérance n'était pas un réflexe systématique entre les chrétiens d'Europe. Et pour preuve, Milton était opposé à toute vélléité de tolérance à l'égard des Catholiques, justifiant cette hostilité par le caractère païen de la confession catholique et invoquant la proscription par l'Ancien testament de toute pratique païenne(35). Il persiste, aujourd'hui encore, en Europe, des relents de cette conception réductrice de la tolérance religieuse, dont certaines doctrines chrétiennes étaient exclues, au même titre que les non-chértiens.

Abstraction faite de cet état de fait, nous ne saurons nier la démarche de l'Eglise catholique visant à reconsidérer sa position traditionnelle à l'égard de l'Islam. En 1095, les choses ont changé sous Europan II. Prenons pour exemple le message véhiculé dans l'encyclique **«Nostra Aetate"**, publié par le deuxième Concile oeucuménique sous l'instigation du Pape

---

34- Dr Taoufik Attawil, **Histoire de la persécution religieuse entre le christianisme et l'Islam,** p. 123, Edition Dar Azzahrae pour l'Information arabe, le Caire, 1991.

35- Ibid, p. 124.

tolérance dans leurs relations avec les musulmans. Ce serait être partial que de passer sous silence cette marque caractéristique de l'histoire des relations islamo-chrétiennes. Le prétexte de modération et d'impartialité n'est pas acceptable dans ce contexte précis.

Imbus par le même esprit de tolérance et de coexistence, et soucieux de préserver ces valeurs, nous retenons, pour l'enseignement de l'histoire, que la plupart des autres confessions n'ont pas montré une attitude de tolérance vis -à-vis des musulmans. La civilisation humaine a beaucoup perdu en raison de l'inobservance des principes propres à chaque religion, leurs adeptes ayant, depuis toujours, pris des mesures d'oppression contre les communautés islamiques, que ce soit en Andalousie ou en Palestine durant les siècles du Moyen-Age, ou dans l'ensemble des pays islamiques qui ont subi les affres de l'occupation militaire européenne ou encore les pays qui comptent des minorités islamiques.

Du temps de la réforme religieuse en Europe, la tolérance est née entre les différentes doctrines chrétiennes sans se transposer au niveau des relations entre chrétiens et non-chrétiens. En Angleterre, les chefs de file du mouvement réformiste, à savoir Harrington, Milton et Taylor, ont été les premiers à comprendre que la liberté politique est tributaire de la liberté confessionnelle. Celle-ci ne peut se concevoir en dehors de la liberté de conscience qui commence par la libre

du Rocher[33]. En relatant cet épisode des relations entre musulmans et chrétiens, l'intérêt est de porter un éclairage puissant sur une des vérités de l'histoire. En Islam, la tolérance est un principe intangible qui commande aussi bien l'attitude morale que pratique du musulman. Mûs par cet esprit, les musulmans se sont toujours comportés avec tolérance envers les adeptes des autres confessions. Ainsi, ont-ils fait oeuvre de pionniers de l'idéal de coexistence, qualité qui a toujours été la leur. Il est évident qu'une telle éthique de tolérance ne doit pas se faire au détriment des valeurs de l'identité islamique, ni ne constituer une quelconque concession des musulmans sur leurs droits. Cette tolérance doit être entendue comme une valeur humaine qui vise à instaurer un climat d'entente et de coopération dans les différents secteurs propices à la promotion de pareilles conditions de vie.

L'acception de la coexistence chez les non-musulmans :

Quoi qu'on fasse pour ignorer les interpellations du passé, en réprimant les sentiments d'essence religieuse, et en recherchant un idéal d'objectivité, il ne nous sera pas possible de nier que les chrétiens ont été bien loin de l'idéal de la

---

33- Le Conseiller Ali Ali Mansour, **La Charia islamique et le Droit public international,** p. 379, Dar Al Qalam, le Caire, date inconnue.

témoignage éclatant de la tolérance de l'islam qui a assis les bases de la coexistence entre les religions, les civilisations et les cultures. En faisant son entrée dans la ville, le calife musulman a été accueilli par le Patriarche attitré de la cité. Au moment de la prière, le calife demanda au Patriarche où il pouvait accomplir sa prière. Et ce dernier de lui signifier de la faire à l'endroit même où il se trouvait, en l'occurrence à l'intéreiur de l'Eglise de la Résurrection. Craignant de se faire imiter par les musulmans, le calife préféra le faire sur les marches extérieurs de l'Eglise. Ainsi, les musulmans n'avaient aucun prétexte pour s'emparer de l'Eglise(32). Si le calife avait fait sa prière à l'intérieur, ce geste aurait pu être interprété par les musulmans comme une dérogation à la convention conclue avec les Chrétiens, stipulant l'interdiction aux musulmans de violer les Eglises.

En finissant sa prière, Omar ordonna l'interdiction de toute prière collective sur les lieux dits, ainsi que de tout appel à la prière. En contrepartie, Omar fit ériger la Mosquée du Dôme

---

32- Voir la version détaillée de l'histoire de la prise par le Calife Omar de la ville d'Al Qods, contenue dans **"Histoire des Nations et des Rois"**, de Tabari, Tome : 4 , p. 159, dans **l'Histoire d'Ibn Khaldoun,** Tome : 5, p. 184, dans **Al Kamel Fi Attarikh,** Tome : 10, p. 190, et dans Kitab Al Gharb, et voir l'ouvrage intitulé : **"la Civilisation des Arabes"**, de son auteur Gustave Le Bon, p. 287, traduit par Adel Ziter, et **"A short History of the Middle East"**, p. 74, de son auteur Wells.

Pour sa part, l'historien Wall Durant rapporte, dans son Encyclopédie intitulée **«l'Histoire de la civilisation»**, les témoignages de cette campagne des Croisés : «les femmes succombaient sous les coups des épées et des lances, alors que les nourrissons étaient arrachés à leurs mères pour êtres lancés dans le vide du haut des murailles. D'autres fois, leurs crânes étaient fracassés à coup de bâton. **Les soixante-dix mille musulmans encore vivants ont tous été égorgés»**(31).

Si nous prenons ces exemples à l'appui de nos assertions, c'est pour montrer que la tolérance est une valeur inhérente à l'Islam, tout comme la coexistence entre mususlmans et non musulmans. L'idéal de cohabitation a toujours été un des traits saillants de la civilisation islamique. Notre souci est moins d'ouvrir les plaies du passé avec son cortège de tribulations et de vicissitudes que d'administrer la preuve que la coexistence entre musulmans et adeptes d'autres religions a toujours été une constante dans la civilisation islamique.

La prise pacifique de la ville sainte d'Al Qods par le calife Omar Ibn Al Khattab, qu'Allah l'agrèe, est un

---

31- Wall Durant, l'**Histoire de la civilisation**, Section 4, Volume4, p. 25, Traduit vers l'arabe par Mohammed Badrane. Il s'agit du volume intitulé : **"L'Ère de la Foi"**, comprenant les sections 15 et 16 de l'édition arabe publiée par l'Organisation arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences en 1988.

l'opposé, cette prédisposition à la cohabitation, propre aux musulmans ne semble pas être partagée, ne serait-ce que dans ses formes les plus atténuées, par le non-mususlmans.

Pour éclairer davantage cette dichotomie entre musulmans et non mususlmans, nous pouvons citer, à titre d'exemple, deux événements significatifs : le premier concerne l'entrée du Calife Omar Ibn Al Khattab dans la ville d'Al Qods, le second la conquête de la ville sainte par les deux chefs militaires Godefroi et Tancrède. Dans l'un de ses récits, l'historien Taylor rapporte dans son ouvrage intitulé **«L'Esprit des Temps Moyenâgeux»**, le témoignage d'un curé sur les circonstances de prise d'Al-Qods. Il s'agit du père Raymond Agilée qui affirme «...avoir été témoin d'horribles atrocités perpétrées par l'armée des Croisés qui ont décapité un nombre considérable de musulmans. D'autres ont été tués à la flèche ou contraints à se laisser choir du haut des fortifications. Certains autres ont du subir des tortures pendant des jours entiers avant d'être condamnés au bûcher. Les cadavres démembrés s'entassaient dans les rues et les cavaliers étaient obligés de se frayer un chemin entre les dépouilles des chevaux et des humains»(30).

30- Taylor, **L'Esprit des Temps Moyenâgeux,** Tome : 1, p. 551. Passage extrait de l'ouvrage intitulé : **l'Evolution de la Communauté internationale**, de son auteur Yahya Al Jamal, p. 27, Dar Al Qalam, le Caire, 1996. Cet épisode a été rapporté à l'identique dans l'Encyclopédie : **"Histoire de la civilisation"**, Section 4, Volume 4, p. 25

en vertu du verset coranique : *«Oui, Nous avons envoyé Nos envoyés avec les preuves, et fait descendre avec eux l'Ecriture et la balance pour que les hommes mettent en oeuvre l'équité»*(28). Les musulmans ont accordé au principe d'équité toute l'attention convenable qui lui revenait de droit. Cette attitude s'est manifestée à travers les principes de conduite qu'ils doivent observer vis-à-vis du non-musulman, l'élimination des facteurs de dissolution des moeurs sociales, les élans de philanthropie qui portent naturellement à rendre service à la communauté et enfin la prépondérance des valeurs de la piété. L'Histoire est là pour témoigner que les musulmans, partout où ils sont allés, ont été un modèle de tolérance sans précédent dans les annales de l'histoire, donnant un exemple éclatant de la noblesse de leur religion, attitude qui contraste nettement avec la réaction des Juifs et des Chrétiens, et en général des associationnistes, à l'égard des minorités musulmanes qui vivent sous leur coupe(29).

Pour illustrer l'esprit de tolérance qui a conditionné l'attitude des musulmans à travers les âges, il n'est de preuve plus probante que l'idéal de coexistence qui a caractérisé la vie en communauté des musulmans avec les adeptes d'autres confessions, dans les pays pénétrés par l'Islam. Les exemples peuvent être multipliés à profusion pour illustrer la coexistence entre l'Islam et les autres confessions, révélées ou non. A

28- Sourate Al Hadid, verset : 25

29- op.cit, p. 82

L'Islam considère que la tolérance est l'émanation de la conception islamique de l'homme, articulée autour de deux notions. D'une part, la définition de la finalité de l'existence humaine, qui appelle à son tour la connaissance des moyens adéquats de l'atteindre. D'autre part, l'appréhension de l'existence divine qui outrepasse le cadre restreint de la vie de l'ici-bas, soit la mise en avant de la dimension de la vie éternelle. En créant l'espèce humaine, Allah lui a assigné des tâches spécifiques qui diffèrent de celles de l'espèce animale. Loin d'être un simple ajout sur la liste des créatures préexistantes, l'avènemenet du genre humain donnait naissance à une nouvelle espèce dont la raison d'être consistait à adorer Allah le Créateur et à peupler la terre en accord avec les prescriptions divines. Pour mener à bien cette mission, l'homme a été doté d'un certain nombre de facultés propres et a bénéficié de la sollicitude divine qui lui a montré le droit chemin à la faveur des messages révélés aux prophètes, que les prières et le salut d'Allah soient sur eux. L'appel à l'équité[27] est présent dans toutes les prédications religieuses, initiés par Allah.

Cet idéal d'équité peut véhiculer comme signification que les nations et les peuples coexistent ensemble sans heurts. Par coexistence, on entend la dimension la plus noble du terme qui suppose un comportement réciproque. C'est la portée que les musulmans ont prêtée à l'obligation d'équité qui est la leur

---

27- Mohammed Qotb, **De l'authentification islamique des Sciences sociales,** p. 81, Dar Achchorouq, Première édition, 1998.

apostolats antérieurs et apportant la forme achevée de la révélation divine.

Tantôt rectificatif des législations passées, tantôtt porteur de clarifications exhaustives des questions de la Charia et de l'éthique morale, l'Islam est l'ultime représentation de la foi monothéiste. Support de transmission du verbe divin, le Saint Coran est l'unique message à n'avoir subi aucune altération, fût-elle infime(25).

L'attestation de l'origine divine du judaïsme et du christianisme est un des aspects les plus représentatifs de l'idéal de coexistence qui a toujours été le propre de la civilisation islamique. Bien qu'il se soit vu refuser le statut de religion révélée par la réfutation de la Prophétie de Mohammed, que la Prière est le Salut soient sur lui, attitude jugée totalement inadmissible voire sacrilège dans l'optique des musulmans, l'islam, fidèle à son esprit empreint de tolérance, a eu le mérite de contenir ce désaccord dans des limites qui ne vont pas jusqu'a minimiser la gravité d'une tel rejet. En dépit de cette négation véhémente, l'Islam a préféré placer les rapports avec ces deux religions sous le signe de la communication et de l'entraide(26).

25- Ibid, p. 154

26- Ibid, p. 155

n'intervient pour conditionner l'attitude du musulman que vis-à-vis de son semblable, quelle que soit sa confession, ceci est la manifestation d'un comportement égocentrique qui réduit l'Autre différent à un objet de ressentiment et de répulsion(24).

Dans la conception de l'Islam, la valeur de la coexistence appartient en propre au sentiment religieux qui porte le vocable de «foi». En procédant, ainsi, de cette origine spirituelle, cette valeur, telle qu'elle est entendue dans la religion islamique, n'est pas le fait du droit positif moderne, émanation des dispositions internationales. Dans l'esprit du musulman, la révélation divine au genre humain a été organisée selon une longue succession d'apostolats et de prophéties. Les trois derniers maillons de cette chaîne sont le judaïsme, le christianisme et enfin, l'Islam. Du fait de leur proximité dans le temps, ces trois religions tissent plus d'affinités entre elles qu'avec d'autres religions. Dans le Coran, Chrétiens et Juifs sont désignés par le vocable «Gens du livre». De fait, Allah le Très-Haut a révélé respectivement la Bible et l'Evangile à Moïse et à Jésus Christ. Le message révélé à Mohammed, que la Prière et le Salut soient sur lui, était venu ultérieurement pour clore le processus de prédication religieuse, confirmant les

---

24- **Rissala Ila Al Akl Al Arabi Al Moslim**, p. 154.

le verbe «**Taarafou**», pose implicitement une condition sine qua non, celle de ne retenir de cette connaissance mutuelle que les aspects bénéfiques qu'il importe de promouvoir(22). A vrai dire, la notion de «connaissance mutuelle» en recouvre plusieurs autres, comme la coopération et la coexistence. Elle est, également, synonyme du dialogue constructif qui suppose le respect mutuel.

Islam et Coexistence :

Pour mesurer à quel point la valeur de la coexistence est profondément ancrée dans le credo moral de l'Islam, y a-t-il de témoignage plus éloquent que le propre verbe divin qui énonce dans des termes clairs : *«Dis : «O Gens du livre, versez à une formule moyenne entre vous et nous»*(23). Il est, par ailleurs, nombre de communs dénominanteurs qui rapprochent les musulmans des gens du livre. De surcroît, l'Islam qui prescrit à ses adeptes d'observer une conduite conciliante vis-à-vis de leurs congénères, les exhorte encore plus à la cohabitation avec les autres croyants. Par cohabitation, on n'entend pas la concordance nécessaire des idéaux religieux qui animent les partisans de chaque confession. Si l'esprit de bonne foi

---

22- Dr Hassan Hathout, **Rissala Ila Al Akl Al Arabi Al Moslim,** p. 153, Dar Al Maarif, le Caire, Première édition, 1998

23- Sourate Al Imrane, verset : 64

Si profond soit-il, le lien de la religion n'en exclut pas pour autant le bien-fondé d'autres liens qui conditionnent la vie des musulmans et les comportements à observer vis-à-vis des adeptes des autres religions révélées. Selon Dr Youssef Al Qardaoui, il existe plusieurs formes de fraternité autres que celle dictée par la religion commune, qui reçoivent l'aval de l'Islam, telles la fraternité nationale et humaine(19).

Outre la valeur de la fraternité, l'islam revendique son universalité à travers le rang éminent qu'il attribue à l'homme. Ce statut privilégié est consacré dans le Coran qui proclame que: *«Nous sommes généreux envers les fils d'Adam, Nous les transportons sur la terre et sur la mer, Nous leur attribuons bien des choses bonnes et les privilégions sur beaucoup d'autres de Nos créatures»*(20). Descendants d'Adam et d'Eve, tous les hommes sont liés par le sang qui en fait des cousins, tantôt consanguins, tantôt utérins. Ce tissu de parentés doit, en principe, régir les relations entre les différents représentants ethniques de l'espèce humaine. Si la diversité humaine est un fait indéniable, Dieu le Très-Haut n'en rappelle pas moins l'origine commune, en statuant *«Ô Humains. Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle. Si Nous avons fait de vous des peuples et des tribus, c'est en vue de votre connaissance mutuelle»*(21). L'appel à la connaissance mutuelle, exprimé par

---

19- Ibid, p. 195

20- Sourate Al Israe, verset : 70

21- Sourate Al Hojorate, verset : 13

non-musulman, il n'en fait pas, pour autant, un motif valable pour se laisser dominer par d'autres systèmes de pensée incompatibles avec sa vision. Loin de contraindre à l'aliénation de ses valeurs propres, cette forme de tolérance n'est pas une réfutation de la différence, mais plutôt un code qui apprend aux hommes comment vivre en convivialité. Tout en insistant sur l'intangibilité des spécificités religieuses, civilisationnelles et culturelles propres à chaque groupement ethnique, l'Islam ne perçoit pas ces particularismes comme des écueils à la connaissance mutuelle et à la coopération entre les nations et les peuples de la terre.

Au-delà des attaches de parenté, de proximité géographique, de race ou de classe, l'Islam privilégie incontestablement le lien de l'appartenance religieuse commune. Le musulman doit se sentir plus proche de ses coreligionnaires que des mécréants.

C'est un devoir pour n'importe quel musulman, quel qu'en soit le rang de défendre la dignité de sa communauté et de s'allier à ses coreligionnaires contre tout péril extérieur. Ce réflexe naturel n'est pas le propre de l'Islam, puisqu'il est inhérent à n'importe quelle autre confession(18).

18- Dr Youssef Al Qardaoui, **Le Fiqh de l'Etat en Islam : Statut, caractéristiques, configuration et position vis-à-vis de la démocratie, du pluralisme, de la femme et des non musulmans,** p. 197, Dar Achchorouk, le Caire, Première édition, 1997.

astreignantes, en l'occurrence la foi monothéiste en un Dieu unique, la foi en le monde de l'au-delà et l'observance des règles de la bonne conduite. Tels sont les fondements de la confession monothéiste qui se retrouvent dans l'ensemble des apostolats, depuis Adam, en passant par Abraham, Moïse et Jésus, jusqu'à Mohammed, que la Prière et le Salut soient sur eux(15).

En tant que religion proprement universelle, l'Islam spécifie les règles de conduite que doivent observer les musulmans envers les adeptes des autres religions révélées. Il définit, aussi, l'attitude à adopter vis-à-vis des non-musulmans. Tout musulman est, donc, tenu de nourrir une foi absolue en les autres Prophètes. A défaut de se plier à cette obligation, le Croyant porte atteinte à l'intégrité de sa foi. Telle est la preuve la plus éloquente que l'Islam cultive la tolérance dans son sens le plus large. Dieu ne le décrit-il pas dans plus d'un verset : *«Il avait fait descendre la Torah et l'Evangile auparavant, comme guidance pour les hommes. Il a fait descendre le Critère»* (16) et *«Je suis l'envoyé de Dieu vers vous, venu confirmer la Torah en vigueur»*(17).

Si l'Islam a fait de la tolérance un de ses principes intangibles qui commandent la conduite du musulman envers le

---

15- **L'apport civilisationnel de l'Islam,** pp. 119-120

16- Sourate Al Imrane, verset : 3

17- Sourate Assaf, verset : 6

bannissent les tendances hégémonistes au bénéfice d'une interaction structurée autour du patrimoine universel[12].

Fidèle à son essence universelle, l'Islam s'oppose catégoriquement à l'égocentrisme religieux qui ne considère comme valable qu'une seule et unique religion. L'alternative qu'il propose est la reconnaissance des autres confessions, qualifiant de naturelle cette multiplicité voulue par Dieu. Vouloir réfuter cette donnée divine revient à rejeter la loi immuable de Dieu, consacrée dans son verbe : *«A chacun de vous Nous avons ouvert un accès, une avenue, si Dieu avait voulu, Il aurait fait de vous une communauté unique, mais Il voulait vous éprouver en ses Dons. Faites assaut de bonnes actions vers Dieu»*[13] et *«si ton Seigneur l'avait voulu, Il aurait fait de tous les humains une communauté unique, alors qu'ils persistent dans leurs différends, à l'exception de ceux à qui ton Seigneur dispense sa miséricorde. Aussi bien les a-t-il créés pour ce destin»*[14]. En instituant la diversité comme valeur intrinsèque de l'espèce humaine, le Très-Haut a, en revanche, subordonné le pluriconfessionnalisme à des règles communes

---

12- Dr. Mohammed Amara, **L'Apport civilisationnel de l'Islam,** p. 121, Dar Al Maarif, le Caire, 1997.

13- Sourate Al Maida, verset : 51

14- Sourate Houd, versets : 118-119

prescrire afin de ménager des compatibilités acceptables. Ce processus de prédication religieuse s'est poursuivi jusqu'à l'avènement du Prophète de l'Univers qui mit un terme à la révélation graduelle. Les dogmes de la nouvelle religion étaient valables en tout temps et sous toutes les latitudes. Seuls les aspects changeants de la vie humaine peuvent autoriser à imaginer de nouvelles réglementations. Cette nature dualiste reste l'apanage exclusif de l'Islam qui s'en prévaut sur les autres religions. En offrant à l'homme la possibilité de se doter de nouvelles lois en accord avec ses besoins, l'Islam aura proclamé l'inviolabilité de la dignité humaine, ouvrant ainsi la voie à l'entente des peuples(11).

Du fait de son universalité, l'Islam a favorisé l'ouverture de la culture et de la civilisation islamiques sur les civilisations des autres nations, donnant lieu à une interaction active entre elles. Pour preuve, l'Islam est réfractaire à l'égocentrisme civilisationnel dont les visées hégémoniques se traduisent par la volonté de mettre les peuples de la terre sous la tutelle d'une civilisation dominante. A l'opposé de cette philosophie de massification et d'uniformisation, l'Islam se prononce en faveur d'un forum de civilisations, aussi multiples que variées, qui

11- **La Révélation Mohammadienne,** p. 153.

S'adressant à la communauté des Croyants, l'Islam leur enjoint de prêter la foi aux différents prophètes et de les traiter sans distinction aucune. N'est-il pas dit, dans le Coran que *«L'Envoyé croit en ce dont la descente s'opère sur lui de la part de son Seigneur. Ainsi font les croyants : tous croient en Dieu et ses Anges, ses Ecritures et ses Envoyés, sans faire aucune différence entre ses Envoyés»*[10]. Le corollaire logique de ce commandement divin serait d'interdire formellement tout traitement discriminatoire à l'égard des Envoyés de Dieu, au risque de se rendre coupable d'un acte d'impiété et de rupture de foi. Pour qui observe scrupuleusement cette injonction, il aura démontré la preuve de sa bonne foi. En consacrant l'égalité entre les Prophètes, l'Islam administre la preuve irréfutable de son caractère universel et confirme sa nature humaniste. Selon Cheikh Mohammed Rachid Réda, ce principe tient à la fois en l'origine commune des religions révélées qui visent unanimement à faire le salut des hommes, en les mettant sur le chemin du bonheur sur terre et dans le monde de l'Au-delà. Inspirées de la même source, les religions qui se sont succédée, présentaient des différences de pure forme, perceptibles à travers les modalités et pratiques propres à chacune d'elles. De fait, les contingences spatio-temporelles et les prédispositions des populations déterminaient la nature des obligations à

10- Sourate Al Bakara, verset : 285

suis un Envoyé de Dieu à vous tous ensemble»(6). L'unité de l'espèce humaine et l'égalité des groupements ethniques qui la composent sont édictées solennellement par le verbe divin qui décrète : *"Humains, Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle. Si Nous avons fait de vous des peuples et des tribus, c'est en vue de votre connaissance mutuelle. Le plus digne au regard de Dieu, c'est celui qui se prémunit davantage»*(7). Rappelant ce verset lors du pélerinage de l'Adieu ayant précédé son décès, le Prophète de l'Islam, que la Prière et le Salut soient sur lui, a réitéré le principe d'égalité ethnique, *«ne prêtant de mérite à l'Arabe sur l'Ajami, ni au blanc sur le noir ni au noir sur le rouge, ni au rouge sur le noir, qu'en fonction de la piété de chacun»*(8). Cette unité constitue une invitation franche à l'entraide par la connaissance mutuelle, aussi bien qu'une réfutation expresse de la haine par l'antagonisme(9).

6- Sourate Al Aaraf, verset : 158

7- Sourate Al Hojorat, verset : 49

8- Extrait du Hadith rapporté par Al Adae Ben Khaled dans **Al Moajam Al Kabir,** de son auteur Attabarani

9- Mohammed Rachid Réda, **La Révélation Mohammadienne,** p. 169, Librairie du Caire, Sixième édition 1960. L'intiutlé complet de l'ouvrage s'énonce comme suit : **«La Révélation Mohammadienne : Affirmation de la prophétie par le Coran et Appel aux nations modernes d'embrasser l'Islam, religion de la fraternité, de l'humanité et de la paix».**

sémantique risque de compromettre l'essence même du concept. Pour parer à ce risque, il importe de subordonner la coexistence des religions à une règle invariable. Cette démarche d'encadrement doit être entendue en étroite corrélation avec le système de valeurs propre à chaque religion.

Arrivé à ce niveau d'analyse, il nous appartient d'instruire le lecteur sur l'essentiel des principes de l'Islam qui prône la fraternité humaine dans son sens le plus large.

De l'Islam comme message universel :

Ultime religion révélée, l'Islam est le message de Dieu tout-Puissant à son prophète Mohammed Ibn Abdullah, que la Prière et le salut soient sur lui, par la révélation du Coran qui est venu attester la véracité de la Torah et de l'Evangile, mais aussi prêcher la bonne parole et montrer les voies du bien et du salut dans le monde d'ici-bas et de l'Au-delà. De fait, Mohammed, que la Prière et le Salut soient sur lui, est le messager de Dieu à toute l'Humanité et non seulement aux Arabes, et ce en vertu de la parole divine : *«Nous ne t'avons envoyé aux humains qu'en leur totalité, pour porter l'annonce et donner l'alarme»*(4), *"Prophète, Nous t'avons envoyé pour témoigner, porter la bonne nouvelle, donner l'alarme»*(5), et *«Dis : "Humains, je*

4- Sourate Saba, verset : 28

5- Sourate Al Ahzab, verset : 45

La différence est bien apparente entre les deux approches qui s'excluent du fait de la divergence entre les deux définitions du concept.

Si nous appliquons la première acception à la notion de coexistence entre les religions, nous en déduirons le caractère impérieux de cette coexistence qui est l'expression de la règle générale de la Charia dictant une conduite visant à «s'approprier les bienfaits et conjurer les méfaits» dans toute chose. Coexister, c'est également un besoin inné de l'homme qui le porte à mener une vie empreinte de sérénité et de paix. De telles conditions de vie sont la meilleure motivation des hommes pour se consacrer, dans la quiétude absolue, aux multiples tâches de la construction civilisationnelle.

Appréhendée comme telle, la coexistence a le sens d'une convention entre deux parties portant sur les modalités d'organisation des moyens de vie et la définition des voies à emprunter pour y parvenir. Ce besoin de concertation s'explique par la différence opposant la particularité du cadre de vie personnel et celle de la vie en communauté où il s'agit de coexister avec autrui. Dans ce dernier cas, chaque individu consent à s'engager dans une dynamique d'échanges avec un ou plusieurs partenaires, organisée autour d'une communauté d'intérêts, d'objectifs ou de besoins.

Ce sens général de la coexistence et aussi valable pour la notion particulière de coexistence des religions. Tout écart

idéologiquement opposés, l'idée de coexistence pacifique a commencé à germer dans un contexte marqué par la crainte d'un désastre nucléaire, la bombe atomique étant à la portée des deux blocs. Ce paysage politique dualiste allait s'agrandir de la constitution d'un troisième pôle, celui des pays non alignés. Les tenants de cette nouvelle tendance avaient exprimé leur volonté d'ériger la coexistence pacifique en étalon de la coordination des relations internationales, et partant, de résorber les retombées de la guerre froide qui mettait toute la planète au bord du gouffre de la destruction massive(2).

D'après **l'Encyclopédie de la politique**, le slogan de coexistence pacifique a été lancé, à l'origine, par Nikita Khrouchtchev. Cette formule originale avait moins le sens d'un désaveu des idéaux défendus par son pays, l'Union Soviétique, que d'une reconsidération conjoncturelle des stratégies de mise en oeuvre des objectifs arrêtés, dictée par la donne politique de l'époque, notamment la mise en place d'un équilibre de la terreur. La perception de l'Occident était tout autre, puisqu'il entendait par coexistence pacifique la volonté de **«vivre sans compromettre le droit de l'Autre de vivre lui aussi»**(3).

2- Ahmed Atiyyat Allah, **Le Dictionnaire de la Politique**, p. 310, Troisième édition 1968, Dar Annahda Al-Arabiyya, le Caire.

3- **L'Encyclopédie de la Politique,** p. 108, L'Institution Arabe pour les Etudes et l'Edition, première édition, Beyrouth, 1974.

sont autant de pratiques injustifiées et dénuées de tout bien-fondé.

3- La coopération par l'oeuvre conjointe qui vise la réalisation d'objectifs communs à la faveur d'une planification concertée entre les deux parties acquises à l'idéal de la coexistence et déterminées à lui donner corps.

4- La préservation de l'idéal de la coexistence par le respect réciproque et la confiance mutuelle. Ce sont là deux garanties nécessaires pour ne pas compromettre l'état de coexistence et éviter de voir triompher la logique des intérêts personnels. Si un tel risque venait à se manifester, la meilleure parade qu'on lui puisse opposer serait de chercher l'alternative dans le fonds des valeurs communes. Ignorer les sources d'antagonisme est une solution efficace, certes, mais qui reste, toutefois, tributaire de l'engagement des deux parties à se conformer aux prescriptions du droit international. Ces principes juridiques, mondialement admis, étaient originellement présents dans les systèmes de valeurs dérivés des religions révélées.

La littérature de la politique internationale a connu la fortune du concept de **coexistence pacifique** par lequel on entendait l'établissement de relations de coopération entre les pays sur la base de l'entente et de l'interdépendance des intérêts économiques et commerciaux. Apparue à l'issue de la seconde guerre mondiale qui a scindé le monde en deux blocs

de la coopération et du bien en faveur de l'humanité tout entière.

Notre analyse s'articulera autour de la troisième acception de la notion de coexistence.

Après avoir passé en revue toutes les significations propres au concept de coexistence, nous avons pu induire de nos constatations que la coexistence religieuse, ou plus précisément la coexistence entre les religions, reposait sur quatre principes déterminants :

1- La volonté commune née d'un choix souverain et pleinement assumé. Il n'est de coexistence que celle qui se forge par un acte de libre volonté, loin de toute pression et de toute condition, de quelque nature qu'elles soient.

2- La concordance des objectifs : C'est là la garantie d'une coexistence qui ne se vide pas de son sens, la motivation première des deux parties désireuses de coexistence étant la poursuite des nobles desseins de l'humanité, notamment la consécration de la paix et de la sécurité sur terre, l'éradication des causes des guerres et des conflits, la lutte contre l'injustice et la tyrannie qui portent atteinte à la dignité des individus et des populations, la condamnation des politiques et des pratiques qui mettent en péril les droits inaliénables des peuples et la lutte contre la discrimination raciale et l'ethnocentrisme qui

Historiquement, la naissance du concept de coexistence est datée du temps de l'antagonisme planétaire entre capitalisme et socialisme, qui cessa avec l'implosion de l'empire soviétique et l'effondrement du mur de Berlin. De nature polysémique, ce concept participe de plusieurs registres qu'il est possible de ramener à trois principaux :

1- **L'acception idéologique et politique** du terme l'assimile à la volonté de circonscrire la portée de la relation conflictuelle qui opposait les blocs socialiste et capitaliste, en imaginant des formules de communication. Des impératifs d'ordre civil et militaire rendaient nécessaire l'effort destiné à dépassionner les dissensions entre les deux idéologies. Telle était, à l'origine, la signification qu'on attribuait au concept de la coexistence.

2- La coexistence impliquait également l'aspect économique, s'entendant ainsi à travers les relations de coopération juridique, économique et commerciale qui pouvaient se tisser entre les gouvernements et les peuples.

3- La dimension religieuse, culturelle et civilisationnelle est la plus récente. Dorénavant, coexistence des religions ou coexistence des civilisations s'apparentent sémantiquement à la volonté des communautés des Croyants et des différentes civilisations d'oeuvrer de concert pour instaurer la paix et la sécurité sur terre et faire triompher les valeurs de la fraternité,

position de l'Islam vis-à-vis de la coexistence des religions, qui réçlame une attention particulière de notre part. En dernière analyse, notre étude doit dégager la substance d'une prise de position tranchée, inspirée de l'esprit de la civilisation islamique qui considère uniment les autres religions, cultures et civilisations.

De la notion de coexistence :

Pour cerner la conception de l'islam à l'égard de la coexistence des religions, il est indispensable de préciser la charge sémantique de la notion de coexistence.

Dans Al Moajam Al Wasit, le terme de coexistence reçoit les déterminations sémantiques suivantes, selon qu'il est verbe ou substantif. Ainsi, la forme dérivée **«Taayachou»** du radical trilitère **«Achou»**, signifie **«vivre en harmonie et dans la convivialité»**. De là vient l'usage lexical de «coexistence pacifique». Une autre figure dérivée du même radical **«Ayachaho»**, se distinguant de la première par la présence d'un complément d'objet direct, signifie «vivre avec autrui». Quant au substantif **«Al Aych»**, c'est tout simplement l'équivalent arabe du mot français «Vie», avec le cortège des manifestations inhérentes au vivant comme **le manger, le boire, le gain matériel**, etc[1].

1- **Al Moajam Al Wasit,** Ligue de la langue arabe, le Caire, Tome 2, pp. 639-640, Edition Dar Al-Fikr.

Avant-propos

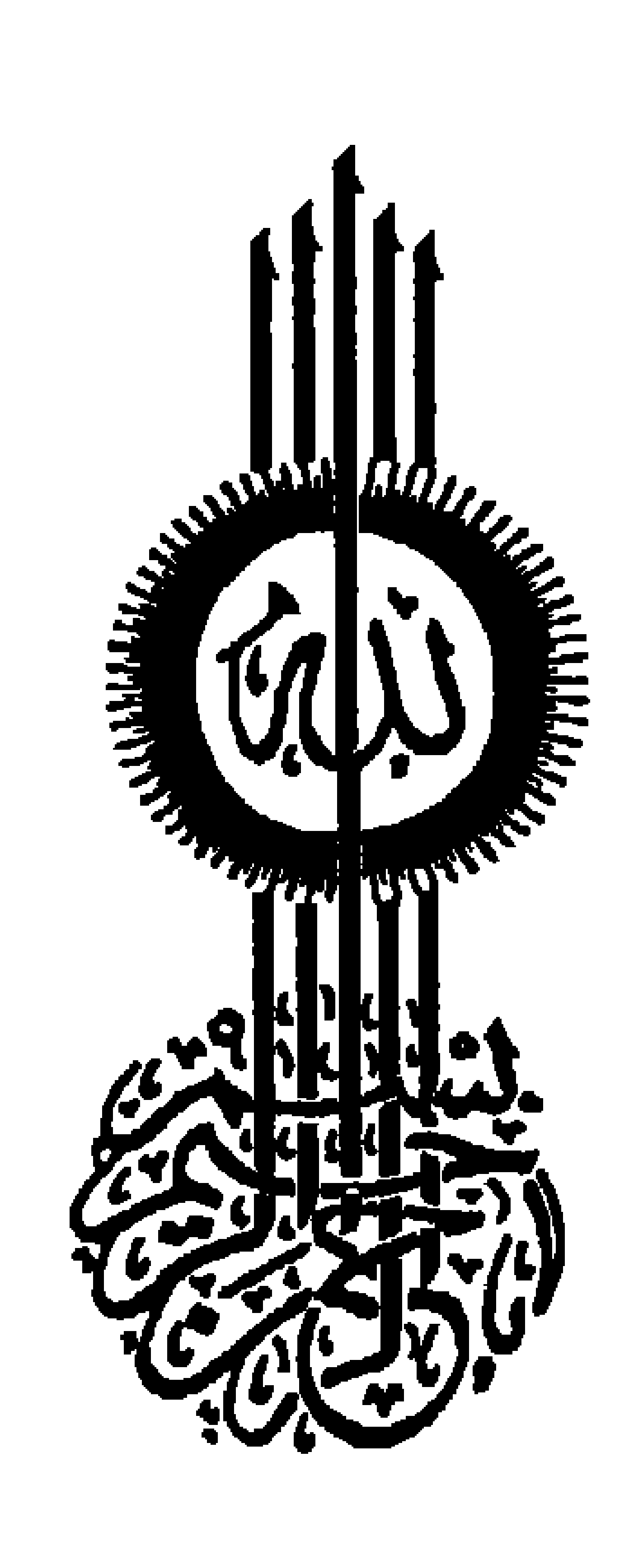
La coexistence des religions, voilà un des centres d'intérêt majeurs qui retiennent le plus l'attention de l'élite intellectuelle et religieuse, des spécialistes de la prospective et des chercheurs intéressés aux interactions entre les différentes civilisations. Cette question suscite une telle passion dans les milieux de la pensée en raison de ses multiples ramifications et des défis qui en découlent. Cette nature complexe déborde sur le seul cadre religieux, civilisationnel ou culturel pour embrasser une dimension pluridisciplinaire où se trouvent investis d'autres instruments de réflexion.

Si la problématique de la coexistence des religions suscite tant d'intérêt à l'échelle planétaire, la pensée islamique est donc tenue de se prononcer clairement sur ce sujet, en se souciant de faire la lumière sur les ressorts de cette question épineuse et de décrier les mystifications et les affabulations qui accompagnent sa thématisation.

Cette entrée en matière montre à quel point il est important de se livrer à l'examen du point de vue de l'islam sur cette question. Notre démarche s'articulera autour de trois axes. Il s'agira, d'abord, de concevoir comment l'islam appréhende la notion de coexistence, qui figure parmi les valeurs humaines les plus éminentes. C'est, ensuite, qu'il sera question de voir la

Table des matières

Cette étude a été présentée lors de la dixième conférence du Conseil supérieur des Affaires islamiques, tenue du 2 au 5 juillet 1998, au Caire, sous le thème:**"l'Islam et le vingt et unième siècle".**

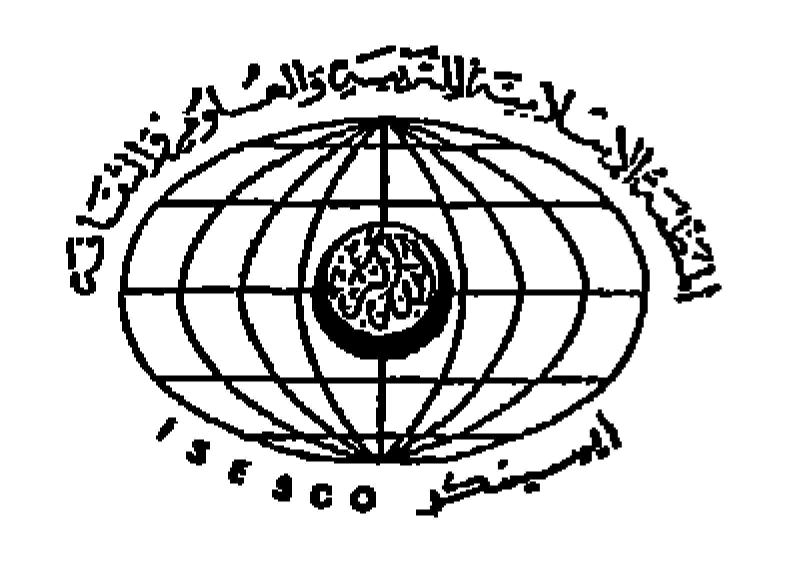

الله
بسم الله الرحمن الرحيم

Dr Abdulaziz Othman Altwaijri

Directeur général de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture - ISESCO -

L'Islam et la coexistence des religions à l'horizon du vingt et unième siècle

Publications de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture - ISESCO - 1419H / 1998



L'Islam et la coexistence des religions à l'horizon du vingt et unième siècle

Dr Abdulaziz Othman Altwaijri

Directeur général de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture - ISESCO -

Publications de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture - ISESCO - 1419H / 1998

erect not, from among ourselves, lords and patrons other than Allah.' If then they turn back, say ye : 'Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to Allah's will)."[46]

From this holy verse, we can infer a legal provision that determines the position of Islam as to coexistence among religions. The "common terms" to which Almighty Allah has enjoined His Messenger (PBUH) to call the People of the Book may be broken down into three elements. Although all of these elements revolve around monotheism and recognition of the divinity and lordship of Allah alone, an inspired analysis may derive therefrom deep indications related to the reality and life of humankind. They are :

First : To worship none but Allah ;

Second : To associate no partner with Him ;

Third : To refrain from proclaiming from amongst ourselves gods other than Allah alone.

This verse is, indeed, the golden rule of inter-religious coexistence for it enjoins all creatures to worship none but Allah, to associate no partner with Him, and to reject tyranny, despotism, arrogance and hegemony by not erecting from among themselves gods other than Allah, gods from whom they would receive guidelines and principles, and whom they would utterly dread in view of their ruthless power. Such a situation creates imbalance in society and subsequent chaos worldwide.

Inter-religious coexistence must be directed, therefore, to the satisfaction of Almighty Allah alone, in order to ensure for humankind a free, dignified life in a world pervaded with faith, righteousness and virtue.

---

46. The Al-'Imran Sura, verse 64.

If inter-religious coexistence, which is at the same time a coexistence among cultures and civilizations, is not geared to the service of lofty humanitarian goals, it will lose its fine edge. It will become more akin to propagandist moves and empty slogans than sincere actions aimed to better the life of modern man. Consequently, we, the Muslims, must put under close scrutiny the goals of the calls to dialogue among religions, cultures and civilizations made by certain parties. The aim is to avoid being victims of cultural and religious duplicity, which is more lethal than commercial and industrial fraud.

Being aware of the magnitude of the threats leveled at mankind at this special juncture, we believe that coexistence among religions, in particular, is one of pressing necessities dictated by the urge to preserve humankind and ensure for them a life in freedom and dignity on this globe.

There is no doubt that the need for inter-religious coexistence will become even more pressing in the near future. All indicators signal that the 21st century will be the stage of overwhelming crises on the political, economic, civilizational and cultural levels altogether. Under such circumstances, it is obvious that the mission of the revealed religions will gain in importance just as the responsibility of the faithful will be heightened as they will give impetus to the process of inter-religious coexistence in the right direction in accordance with the divine ordinance : "*Say : 'O People of the Book! Come to common terms as between us and you : That we worship none but Allah ; that we associate no partners with Him ; that we*

with senior American officials in the White House, the Pentagon and the State Department, in the making of political and military decisions concerning the Arab-Zionist conflict. Followers of this movement believe that Jews are God's chosen people, and that the latter are entitled to gather in Palestine. This movement constitutes the firm groundwork of Christian Zionism.(44)

Notwithstanding the fact that certain Catholic churches, in the first place, and even evangelical churches (in addition to the eastern orthodox church), reject those ideas, considering them as alien to Christianity and disruptive of its basic tenets(45), the strong presence of this movement in USA adds to its clout and ability to proliferate rapidly, in various forms. Everyone has witnessed the historic decisions recently taken by the Vatican vis-à-vis the Jews, decisions that touch on the core of the Christian faith bequeathed from generation to generation. These decisions serve, in the first place, the Zionist policy.

In view of the foregoing, it is necessary to be cautious least inter-religious coexistence should fall prey to such movements and ideas that are extraneous to Christianity as they basically serve dangerous political objectives incompatible with the noble humanitarian goals. Any Christian who is subject to the influence of these anti-coexistence movements and engages as yet in the process of inter-religious coexistence may represent a threat to efforts exerted in this area by disrupting them and undermining their utility.

---

44. Grace Halsell. ***Prophethood and Politics***, p. 12 of the introduction of the translator, Muhammad Al-Sammak, Al-Shuruq Publishing House, Fourth Edition, Cairo, 1988.

45. Ibid., p. 13

entrench the principles of right, justice and respect for the dignity of humans as humans. These principles and teachings are, indeed, the common denominator of all religions.

Inter-religious coexistence must be a driving force that boosts the munificent efforts exerted by the international community with a view to supporting civilizational and cultural coexistence among nations and peoples. It must further develop, enrich and broaden the scope of these efforts. To serve a just and sustainable peace, the parties to inter-religious coexistence have to rid themselves of all constraints, pressures and ties that are inconsistent with the principles and objectives of this coexistence.

Yet, an all too obvious clout is exercised on certain Christian sects by a Judaism tinted with Zionism. Its manifestation may be traced in the many positions that blatantly run counter to historical facts. For instance, there emerged, first in Britain then in the USA, a number of evangelical Christian movements, foremost of which is "dispensationalism." This movement upholds that the Bible, in particular in Ezekiel, the Revelation and Jonah books, includes clear prophecies about the dispensations in which God specifies the ways world affairs and the end of the universe will unfold : return of Jews to Palestine, rise of Israel, Armageddon nuclear blast, massive havoc and death of millions, advent of Jesus the Savior, belief by the remaining Jews in the Messiah, and widespread peace in the millenarian messianic kingdom.

Strong with over forty million members, including ex-American President Ronald Reagan, this movement exercises leverage over a large array of American media, in particular television channels. Leaders of this movement are associated,

Inter-religious coexistence must, likewise, include joint action for combating atheism, moral decadence, family disintegration and juvenile delinquency, in addition to all plagues and banes threatening the individual and the community, and thereby human life.

The concept of inter-religious coexistence must extend to include also the removal of causes of tension, turmoil, and instability in many parts of the world, such as Palestine, Bosnia-Herzegovina, Kosovo, Kashmir, Philippines, and other regions in Africa and Asia. Action in this area will be a good example of useful and fruitful action with a strong impact on people's lives. Inter-religious coexistence will thus become an efficient instrument for supporting the efforts directed to the achievement of peace, the knitting of sound relations among peoples and nations under the scope of international law, the respect for human rights and the concretization of the basic freedoms stipulated in international covenants, treaties and agreements.

Inter-religious coexistence must be geared toward supporting all the people subject to injustice and unfavorable circumstances without exception, compelling the perpetrators of injustice, persecution and terrorism at state, community or individual level, to observe the rules of international law and abide by the teachings of the revealed religions.

Coexistence among religions must not overshadow the mission of combating injustice, aggression and seizure of other people's land by force under any plea, nor must it show leniency to perpetrators of these crimes under the pretext of refraining from delving into political issues. This is only natural since one of the objectives of inter-religious coexistence is to endeavor to

These principles should constitute our point of departure in the actions aimed to enhance joint scientific research to arrive at results likely to foster the foundations of coexistence in the sense of cooperation among the faithful to achieve the well-being of humankind. It must be noted that unbiased scientific research on past contacts among religions and the impact of such contacts would be a good step towards the international peace and humane fraternity aspired by religions and philosophical trends since the dawn of intellectual activity. It is still yearned for by righteous individuals in society.

This research will broaden the perspective of religious-minded people and orient them to the finest aspects of the practice of their religion. At the same time, it is a scientific duty serving truth, provided it is undertaken by researchers in the comparative history of religions.(43)

Joint scientific and cultural action in this field will yield benefits to all believers in Allah since these efforts are all geared to strengthening understanding among followers of all religions, disseminating humanitarian values and building bridges of rapprochement on humanitarian bases that surpass intellectual and cultural bases.

One vast field for the promotion of coexistence among the faithful is cooperation among followers of all religions in the preservation of environmental safety, combat of serious diseases, eradication of racial discrimination and removal of the injustice besetting peoples, groups and communities suffering persecution.

---

43. Dr. Amin Al-Khuli. ***Relation of Islam to the Reform of Christianity***, p. 17. Book 9 of his complete works. General Egyptian Publications House, Cairo, 1993.

But if coexistence is construed in the sense that each party will keep its religion complete and inalienable and adhere to its identity in its entirety, that is indeed the goal targeted and the type of relation we are seeking to set up with non-Muslims.

Coexistence between Muslims and followers of other religions must be based, in the first place, on mutual confidence and respect as well as on the desire to cooperate in fields of mutual interest for the well-being of humankind, not in useless, inane matters.

Perhaps the framework of coexistence set by the late Sheikh Muhammad al-Ghazali represents an ideal pattern of the aspired coexistence between Muslims and non-Muslims. The late Sheikh al-Ghazali laid down three principles for coexistence and dialogue :

First : To agree on discarding any term prejudicial to the glory and might of Allah. I and you must first agree that Allah's knowledge is infinite, that nothing can resist His power in the heavens or on earth, that His mercy knows no bounds, that He is above any shortcomings or insufficiencies rife among humans, etc.

Second : To agree that Allah elects His Messengers from among the humans renowned for their sincerity, trustworthiness and judiciousness.

Third : To refer controversial issues to the uncontested heritage in order to gradually lay a groundwork common to religions.(42)

---

42. Ibid., p. 29.

At any rate, the Muslims have no objection to responding to the call for coexistence with followers of other religions even if their perception of coexistence is totally or partially inconsistent with the civilized humanitarian concept upheld by the Muslims. The Muslims are convinced that the nature of human life requires a higher level of coexistence marked by objectivity, generosity, truth and sincerity in working for the well-being of all humans.

Inter-religious Coexistence : How and Why ?

As stated earlier, coexistence is a type of cooperation based on mutual confidence and respect and aimed to achieve the goals agreed upon by parties that not only desire coexistence, but practice it with full conviction and free will and choice. How then is coexistence achieved ? What are its ways and means ? What are its channels ? And what are its goals ?

It must be pointed out in a clear-cut manner, at the outset, that coexistence, as we understand and welcome it, does not mean at all a dilution of positions, nor a manipulation of ideas or a fusion of creeds into the same mold may it even be an indubitably humanitarian mold as claimed. Followers of the authentic, sound creeds cannot accept this dubious, vague confusion and refuse conscientiously to renounce their specificities and values just for fear of being taxed as fanatics or to win the title of complex-free individuals. A coexistence that would strip the Muslim of his identity, shake his balance and disrupt his whole being has nothing to do with coexistence; it is rather a form of perfidy, base maneuvering, and downright deceit.

for it represents the only alternative for those who renounce Christianity upon discovering the distortions that had affected it but do not want to apostatize."[40]

Inter-religious coexistence certainly loses its utility and value when manipulated to serve interests other than the humanitarian objectives agreed upon by the parties seeking coexistence. At the time when voices are rising to demand inter-religious coexistence, anti-Islamic schemes are hatched at the highest levels to combat Islam specifically, while Jews relish the benefits of the noblest form of tolerance.

In the United States of America, the State of Colorado recently hosted the largest evangelical conference ever. Its deliberations, proposals and conclusions have been translated into Arabic and published in a large-size book of as many as 900 small print pages. The conference focused on a single issue : What are the best ways to evangelize Muslims and eradicate their religion. One thousand million dollars were raised to this effect, as a first step toward the implementation of this scheme.[41] Upon reading the hefty book containing the conference's proceedings, one finds a number of provocative facts corroborating the idea that Christians, or to be more objective a chunk of them, neither believe in coexistence, nor in dialogue or cooperation. When they call for coexistence or dialogue, they mean to wield them in order to impose a religious dominance not very different from political or economic hegemony.

---

40. Ibid., p. 26.

41. Muhammad Al-Ghazali. ***Sounding Alarm Against Evangelists***, p. 13, Al-Sahwa Publishing House, Cairo, First Edition, 1991.

There is no need to expound this text since it includes a clear-cut definition of the meaning of dialogue as construed by Pope John Paul II in the sense that it is no more than a propitious forum for continuation and reinforcement of the evangelization process. However, there is another text included in the moral apostolic sermon titled "conveying the religious education" by Pope John Paul II also, broadcast in 1979, in which he said : "*The mission of evangelization is embedded in the evangelical culture and must not be dissociated from it. It is conveyed through an apostolic dialogue that must be necessarily contained in cultural dialogue. The power of the gospel is able to spark change and renovation, whereas the gospel must not be altered or affected in its contact with cultures. In this way, religious teaching will penetrate deeply the various cultures, thus conferring the perfection of the Christ on their legal values.*"[39]

If such is inter-cultural and inter-religious dialogue in the view of the Vatican, their true perception of coexistence is then aimed to realize the evangelization of the whole world, a position sharply contrasting with the tolerant humanitarian acceptation of coexistence upheld by the Muslims. This inherent aim is brought to light with even more clarity in another passage of the said apostolic discourse, which clearly underlines the "*importance of evangelizing the world, in particular in post-communism countries for fear that they should go on with their atheism or embrace Islam. Hence the necessity of dealing a blow to Islam*

---

39. Dr. Zeineb Abdulaziz. ***The Evangelization of the World : Discussion of the Message of Pope John Paul VI***, p. 106, Al-Wafa Printing and Publication House, Cairo, First Edition, 1995.

Yet, in a new papal document, we find material that impels us to balk at the idea of "inter-religious dialogue" or "inter-religious coexistence," not to renege on the application of the principle of dialogue and coexistence, but to ponder deeply the significance of this position and its repercussions on the moves undertaken by the Western Catholic Church in its call for dialogue and coexistence. The following example is relevant to our discussion of the perception of coexistence by non-Muslims, specifically the Christians, or more exactly the Christians with allegiance to the Western Church, not the Arab Christians who have been living in coexistence with us for centuries long, within the Islamic civilization. Under the sub-title of "Dialogue with our brothers from other religions," in Chapter V of the ***Letter of the Redeemer***(37), about which Pope Paul II said that it enshrined his opinion and position vis-à-vis Islam and Muslims, we read the following : "*Dialogue among religions constitutes part and parcel of the mission of the evangelist church. As both a way and a means of mutual acquaintance and enrichment, it is not inconsistent with our mission towards the nations. On the contrary, it is closely linked to this mission, in a special manner, and is an expression thereof.*" The document then points out : "*Redemption comes from the Christ, and dialogue does not absolve us from evangelization.*" Rather, "*the Church does not consider that there is any contradiction whatsoever between evangelization and inter-religious dialogue.*"(38)

---

37. On October 5th, 1993, Cardinal Ratzinger, Prefect of the Congregation for the Doctrine of the Faith, announced to the whole world the new apostolic letter. It is the tenth apostolic letter of Pope John Paul VI since he acceded to papal office in 1978. Quoted from ***The Evangelization of the World***, by Dr. Zeineb Abdulaziz (see footnote 38).

38. Dr. Zeineb Abdulaziz. ***The Evangelization of the World : Discussion of the Message of Pope John Paul VI***, p. 106, Al-Wafa Printing and Publication House, Cairo, First Edition, 1995.

the Old Testament had banned the worship of idols.[35] Even today, Europe continues to suffer from the fall-outs of a long-standing, narrow-minded religious tolerance that excludes certain Christian groups themselves, let alone the non-Christians.

Yet, we cannot deny the fact that the Catholic Church has reviewed, and eventually redressed its traditional stance vis-à-vis Islam. A new development has indeed taken place, divorcing with the past habits since the days of Urubain II in 1095. The document of Nostra Aetati, issued by the second ecumenical assembly in the epoch of Pope Paul VI, in 1965, describing the position of the Church vis-à-vis non-Christians, states about Muslims : "*The Church holds in high esteem the Muslims who worship the One and Only God, the Merciful, the Almighty, the Creator of the heavens and the earth, who has addressed his message to the humankind. The Muslims show full obedience to God's ordinances, even His implicit injunctions, as did Abraham from whose faith the Muslims derived theirs. The Muslims pay as well due respect and veneration to Jesus as a prophet, although they do not recognize him as a god. They hold in high esteem his mother Virgin Mary, whom they treat with humbleness and veneration. They are, above all, awaiting the Judgment Day when the Almighty will resurrect humankind for the Reckoning. The Muslims attach importance to ethics, and worship God alone, particularly through regular prayer, Zakat and Fasting.*"[36]

---

35. Ibid., p. 124.

36. Quoted from ***Risaalatun ila Al-'Aqli Al-'Arabiyyi Al-Muslimi***, pp. 169-170, Dr. Hassan Hathut. The book was originally written in English and distributed in USA. We are using the Arabic version published by Dar Al-Maarif, Cairo, 1998.

followers of other religions against the Muslim communities at various epochs and places, whether in Andalusia, in Palestine, in the Muslim countries that labored under the yoke of the European military occupation, or in the states in which Muslim minorities have lived in the recent and present epochs.

As for the religious tolerance witnessed in Europe concurrently with the emergence of the movement of religious reform, it was restricted to the Christian apostolate, never blossoming into a form of coexistence with non-Christians. In England, for instance, the call for tolerance was advocated by three prominent scholars : Harrington, Milton and Taylor. The first thinker was of the view that political freedom could not take form in default of absolute religious freedom, because religious freedom encompassed freedom of conscience, which included, in turn, civil freedom. Freedom of conscience is realized only when an individual is able to perform his religious observances and exercise the teachings of his religion according to the inclinations of his own conscience, without any external hindrance, may it be state interference. Milton's defense of tolerance was built on the grounds that the exercise of a right does not necessitate persecution, and that persecution precludes the unveiling of truth.(34)

It is a notorious fact that even amongst the Christians themselves, tolerance was not the lot of all people in Europe at first. Milton himself discarded Catholics from his scope of tolerance as he considered their cult to have pagan overtones; he upheld that

---

34. Dr. Taoufiq Al-Tawil. ***Story of Religious Persecution in Christianity and Islam***, p. 123, Dar Al-Zahra for Arab Information Publishing House, Cairo, 1991.

the fact that Muslims are pioneers in the field of coexistence, and that they possess, in all circumstances, a potential for coexistence with the willing followers of other creeds. This potential must not, however, be viewed as a predisposition to relinquish the slightest constituent of their identity, renounce any one of their beliefs or waive the smallest right. The sought coexistence is one which serves noble humanitarian goals through mutual understanding, cooperation and joint action in fields likely to help achieve these goals.

Coexistence within a non-Muslim Framework

No matter how oblivious one can be of aberrant practices of the past, and strong as may one's control of religious sentiment be, in line with the requirements of objective research, one still cannot deny the fact that throughout the history of Islamic-Christian relations, tolerance has never been a distinctive trait of the Christian side, under any form, as their treatment of Muslims did not rise to the level of coexistence. Neither objective scientific research, nor faithfulness to historical truth dictate that we should transcend this historical fact, which is recorded in the most authoritative reference books. The plea of abstract research, rejection of fanaticism and oblivion of past deviations does not hold here.

Seeking to draw lessons from history in order to chart the way ahead with a clear vision, we would like to register here, with infinite tolerance and a strong desire for coexistence, that the followers of other religions, in general, never rose to the level of tolerance urged for by all religions. Human civilization was greatly affected by the acts of persecution perpetrated by

to perform prayer. The Patriarch answered : "*You may pray where you are sitting.*" On seeing that he was sitting in the very middle of the Church, Omar feared that Muslims would follow suit. They would say : "*Since Omar has prayed here, we are all entitled to pray here too.*" They might even take the Church by force in violation of the provisions of the Omar Covenant(32) that stipulated respect for Christians' churches which had to be left to the Christians. They would think that what Omar had done with the consent of the Patriarch was an amendment of the conditions stipulated in the Covenant. Omar came out of the Church and prayed on its threshold. Yet, he ordered to stipulate in writing that no collective prayer be performed on that spot, nor a call to prayer be made therein. Omar then went to the Rock, and built the Mosque of the Rock.(33)

As mentioned earlier, reference has been made to this episode in the history of Islamic-Christian relations in order to bring to the fore a clear-cut historical fact, notably that, in Islam, tolerance constitutes not only a firm creed turned into courteous behavior, but also a private and public way of life practiced by Muslims. Naturally enough, the latter's relation with followers of other religions represented an unmatched, lofty paradigm of coexistence. This bears ample testimony to

---

32. See detailed story of Omar's conquest of Al-Quds in ***Tarikh Al-Umam wal Muluk*** by Al-Tabari, Vol. 4, p. 159, in ***Tarikh Ibn Khaldun***, Vol. 5, p. 184, in ***Al-Kamil fi Al-Tarikh***, by Ibn Al-Athir, Vol. 10, p. 190, in ***Kitabu Al-Gharb***, under "***The Arab Civilization***" by Gustave Le Pont, p. 287, trans. Adel Zeitar, and in ***A Brief History of the Middle East***, by Wells.

33. Counselor Ali Ali Mansur. Islamic Shariah and International Public Law, p. 379, Dar Al-Qalam, Cairo, undated.

In the same vein, historian Will Durant related in his encyclopedia titled ***The Story of Civilization*** sayings by witnesses of the campaign : "*Women were stabbed to death with swords and lances; children were snatched by the feet from the breasts of their mothers and flung across walls, when their heads were not crushed with heavy poles. The seventy thousand Muslims who had remained in town were all slaughtered.*"(31)

The above historical events are cited chiefly to underline that tolerance is a deep-rooted authentic feature of Islam, and that coexistence among Muslims and followers of other revealed religions is an immutable principle of the Islamic civilization. In so doing, the aim is not to rekindle aberrations of the past. On the contrary, resurrection of the shared history of Muslims and non-Muslims is aimed to underscore, as much as possible, that coexistence is one of the perennial values peculiar to the Islamic civilization throughout history.

As for the passage describing what happened during the entry of Caliph Omar, may Allah be pleased with him, into Al-Quds, it can be rightly termed as a shining example of Islamic tolerance that further strengthened the foundations of religious, civilizational and cultural coexistence. When Omar entered Al-Quds, he was received by the Patriarch who toured with him the town till they arrived at the Church of Resurrection and entered. At prayer time, Omar told the Patriarch that he wanted

---

31. Will Durant. ***The Story of Civilization***, Part 4, Vol. 4, p. 25, Arabic translation by Muhammad Badrane. This volume concerns (the age of faith) and covers parts 15 and 16 of the Arabic edition published by ALECSO in 1988.

prevailing in the Muslims' relations with followers of the religions, rites and creeds practiced in the countries they had conquered all through the past centuries. A look back into history in quest of relevant instances will bring to light live examples of Islamic coexistence that cannot all be related in a single research paper. Islamic coexistence is a phenomenon unprecedented in the other religions, whether revealed or not. No single manifestation of tolerance or coexistence, in its smallest form, could be traced in the non-Muslim civilization.

Two strikingly contrastive and moving events in the remote Islamic history leap to the fore in this context. The first one is the entry of Caliph Omar Ben al-Khattab to Al-Quds as conqueror, and the second one the seizure of Al-Quds by Crusader leaders, namely Godefroi and Tancrède. Describing the second event, Taylor, the famous historian, said in his book titled The Middle Ages Mind, quoting a priest named Raimond de Gilles who was witness to the seizure of Al-Quds by the Crusaders : "*We saw strange practices. A large number of Muslims were beheaded, shot dead with arrows or forced to throw themselves from the height of fortresses, while others were tortured days long then cast into blazing fires. Roads were strewn with heaps of body parts : heads, hands and feet. Horse riders had to step over inert corpses of horses and humans all the way long.*"[30]

---

30. Taylor. ***The Middle Ages Mind***, Vol. 1, p. 551, quoted from ***Tatawwuru Al-Mujtama'i Al-Dawliyi*** by Dr. Yahya Al-Jamal, p. 27, Dar Al-Qalam, Cairo, 1966. This scene is repeated, in the same version, in the encyclopedia ***The Story of Civilization***, Part 4, Vol. 4, p. 25.

prayer and peace of Allah be upon them all. The aim behind the dispatch of messengers and the revelation of the holy books was to institute justice amongst mankind.(27)

But is not coexistence among nations and peoples, of course in the noblest sense of fair and equal treatment, is it not one of the very manifestations of this justice ? At any rate, it is in this sense that the Muslims construe the concept of justice enshrined in the holy verse : "*We sent aforetime Our apostles with Clear Signs and sent down with them the Book and the Balance (of Right and Wrong), that men may stand forth in justice.*"(28) The Muslims gave substance to justice in the way most befitting the status of humans. This is clearly reflected in their treatment of those who do not believe in Islam and its principles, in their endeavor to purify society from evil, in their performance of humanitarian services and in their close cooperation for the dissemination of virtue and righteousness. History attests that the treatment administered by Muslims to non-Muslims in conquered lands was a paradigm of tolerance unmatched in history. The extent of the nobility of Islamic stances contrasts strikingly with the conditions of Muslim minorities living in territories under the domination of Jews, Christians and infidels in general.(29)

Perhaps one of the most cogent testimonies to the fact that this civilization has always strongly adhered to the principle of tolerance in its shiniest forms is the spirit of coexistence

---

27. Muhammad Qutb. ***Hawla Al-Ta'siil Al-Islami li Al-'Ulumi Al-Ijtima'iya***, p. 81, Dar Al-Shuruuq, Cairo, First Edition, 1997.

28. The Al-Hadid Surah, verse 25.

29. ***Hawla Al-Ta'siil Al-Islami li Al-'Ulumi Al-Ijtima'iya***, p. 82.

One of the most salient manifestations of coexistence in the Islamic civilization throughout ages is reflected in Islam's sustained perception of Jews and Christians as followers of God-revealed religions, although such consideration is not requited all the time. Notwithstanding the fact that denial of the prophethood of Muhammad (PBUH) is, by our standards, a grave transgression, indeed an offense that starkly demarcates its perpetrators, it must be noted that Islam has contained controversy in this connection, not by belittling it or making ideological concessions, but rather by bringing it under the chapter of permissible relations irrespective of religious denomination and belief.[26]

Tolerance, in the Islamic way, is the fruit of the Islamic outlook on human beings, an outlook based on two criteria : First, clear-cut determination of the goal behind human existence, and commitment to using sound means to achieve this goal; and second, generalization of human awareness about the transcendental character of human existence, which goes beyond ephemeral worldly concerns to perennial life in the Hereafter. Certainly, the goals behind the creation of humans are far different from those underlying the creation of animals and other species. Allah has not created man merely to add yet another creature to the already long list of creatures. On the contrary, Allah wanted to bring into being another species, endowed with sublime capacities, destined to worship Him with full conscience, and populate the globe in keeping with the divine ordinances. To this end, Allah has bestowed upon humans endless qualities. He conveyed His messages through His noble messengers, may the

---

26. Ibid., p. 155.

the common denominator between Muslims and the People of the Book. Since Islam has instilled in the hearts of Muslims the seeds of a predisposition for coexistence with the entire humankind, it is naturally more inclined to foster coexistence among the believers in Allah. But coexistence, from this perspective, does not mean a mandatory agreement on all matters. However, as a general rule, if I put the condition not to administer good treatment except to those who are like me (Muslims or non-Muslims), this means that I am utterly selfish, and that difference means enmity![24]

Coexistence in Islam is grounded on an ideological basis, taking root in the faith. For this reason, the concept of coexistence from an Islamic perspective does not belong to the modern, positive concepts underlying the rules of international law.

Muslims believe that the divine guidance was relayed through a long series of messages and prophecies, the last of which were Judaism, then Christianity and finally Islam. It is, therefore, only natural that the three religions should be nearer to one another than to the rest of religions. The Quran refers to the Christians and the Jews as the "People of the Book," because Almighty Allah had revealed the Torah to Moses and the Gospel to Jesus (may the peace be upon them) before Muhammad (PBUH) received the integral Message giving credence to the former messages, and putting right all matters pertaining to the law, religious observances and ethics. The Holy Quran is the only sacred book that has remained intact, in the very original language in which it was revealed, in word and character.[25]

---

24. *Risaalatun ila Al-'Aqli Al-'Arabiyyi Al-Muslimi*, p. 154.
25. Ibid., p. 154.

provided them with transport on land and sea; given them for sustenance things good and pure; and conferred on them special favors, above a great part of Our Creation."[20] As humans are all descendants of Adam and Eve, they unquestionably belong to the same family, through a vast cross-network of remote kinship relations. The large human family had ramified extensively, proliferating all over the earth, as substantiated by the Almighty Creator : "*O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other).*"[21] The expression "*so that ye may know one another*" carries two meanings in its folds. The first meaning is mutual acquaintance, and the second the knitting of relations and clinching of transactions on sound, ethically acceptable bases[22]. It is worth mentioning, in this context, that the concept of acquaintance is vast, encompassing all connotations of cooperation, cohabitation and coexistence. It can also assimilate the values of dialogue, courteous debate and mutual respect.

Islam and Coexistence

To trace the contours of the principle of coexistence and its dimensions, in the Islamic sense, nothing is more eloquent and relevant than the holy verse : "Say : 'O People of the Book! Come to common terms as between us and you"[23]. So vast indeed is

---

20. The Al-Israa' Surah, verse 70.

21. The Al-Hujurat Surah, verse 13.

22. Dr. Hassan Hathuut. ***Risaalatun ila Al-'Aqli Al-'Arabiyyi Al-Muslimi***, p. 153, Dar Al-Ma'arif, Cairo, First Edition, 1998.

23. The Al-'Imraan Surah, verse 64.

entity even if inconsistent with the essence of this religion. Tolerance does not abrogate differences; it rather builds bases for knitting sound humanitarian relations much willed by Islam. Affirmation of ideological, civilizational and cultural specificities cannot in any way be renounced. Yet, Islam does not want these specificities to preclude mutual acquaintance and close cooperation among peoples and nations.

It is an established truth that Islam puts the religious bond above any other tie, whether of kinship, region, race or class. A Muslim is brother of another Muslim. He is nearer to him than any disbeliever. Likewise, Muslims are staunch protectors of weaker Muslims. They stand united in the face of others. It must be noted, though, that this specific trait is not peculiar to Islam, and may be found in other religions and creeds.(18)

The religious bond does not, however, repeal other ties necessary for Muslims to live in community with followers of the other revealed religions. Dr. Yusuf al-Qaradawi states, in this concern, that beyond the religious brotherhood, there is an array of other sound forms of fraternity, such as patriotic fraternity, national fraternity, and humane fraternity at large.(19)

Among the fundamentals of the universality of Islam that attest to the Islamic tolerance is Islam's honoring of man by virtue of his humanity : "*We have honored the sons of Adam;*

---

18. Dr. Yusuf Al-Qaradawi. ***Fiqhu Al-Dawlati fi Al-Islam : Makanatuha, Ma'alimuha, Tabi'atuha, Mawqifuha mina Al-Dimuqratiya wa Al-Ta'addudiyati wa Al-Mar'a wa Ghayru Al-Muslimiin***, p. 197, Dar Al-Shuruuq, Cairo, First Edition, 1997.

19. Ibid., p. 195.

Mankind has been created different by the Almighty aware as He is of the richness and complementarity of difference. However, Allah wants all religions and rites to come under a broad framework that contains and regulates all differences and varieties, a framework that affirms unity in the worship of the Creator, in the belief in the Hereafter and in the performance of righteous deeds. Such are, indeed, the fundamentals of the divine religion as agreed by all religions and messages, from the times of Adam and Abraham, Moses, Jesus, to Muhammad, may they all be blessed by Almighty Allah.[15]

The principle of the universality of Islam is one of the firm Islamic principles. It is, in fact, the immutable basis upon which the relations of Muslims with followers of other revealed religions is grounded. It is, also, the source of the outlook of Islam on interaction with non-Muslims. But the faith of a Muslim is only complete when he believes in all the Messengers, without distinction. This humane dimension gives to the Islamic concept of tolerance a broader scope. Almighty Allah says : "*And He sent down the Law (of Moses) and the Gospel (of Jesus) before this, as a guide to mankind, and He sent down the Criterion (of Judgment between right wrong)*"[16], and "*I am the apostle of Allah (sent) to you, confirming the Law (which came) before me.*"[17]

Such humane tolerance, set by Islam as a firm groundwork for the relations of Muslims with non-Muslims, must not be construed as a desertion, or a predisposition to dissolve into any

---

15. ***Al-'Atau Al-Hadariyu li Al-Islam***, pp. 119-120.

16. The Al-'Imran Sura, verse 4.

17. The Al-Saff Surah, verse 6.

The universality of Islam makes the Islamic culture and civilization open to other civilizations and responsive to the cultures of other peoples in a way mutually beneficial. Islam rejects, indeed, the idea of "civilizational centrality" aimed to turn the world into a single, uniform civilization by waging civilizational struggles conducive to the application of a sole civilizational pattern worldwide. The stance of the Islamic religion is explained by the fact that Islam wants the world to be a "forum of civilizations", varied and distinct. However, coercive civilizational centrality must not be supplanted by fanaticism in the swap. Islam rather seeks interaction and mutual assistance among all civilizations for the general benefit of humankind.[12]

If Islam is a universal religion, it does not for the matter profess "religious centrality" to the effect of making the world embrace one and only religion. Rejecting religious centrality, Islam views the multiplicity of religious rites as one of the manifestations of the divine will to create religious concord and avoid dispersion : "*To each among you have We prescribed a Law and an Open Way. If Allah has so willed, He would have made you a single People, but (His Plan is) to test you in what He hath given you : so strive as in a race in all virtues,*"[13] and "*If thy Lord has so willed, He would have made mankind One People : but they will not cease to dispute, except those on whom thy Lord hath bestowed His Mercy: And for this did He create them.*"[14]

---

12. Dr. Muhammad 'Imara, ***Al-'Atau Al-Hadariyu li Al-Islam***, p. 121, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1997.

13. The Al-Maida Surah, verse 51.

14. The Hud Surah, verses 118-119.

Islam has enjoined people to believe in all the Messengers of Allah without distinction : "*The Apostle believeth in what hath been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one (of them) believeth in Allah , His angels, His books, and His apostles. We make no distinction (they say) between one and another of His apostles.*"[10] It admonished that discrimination among them in matters of belief was an act of sheer infidelity, and that belief in them all without distinction was tantamount to true belief in Allah. This bears cogent testimony to the universality of the Islamic message, and entrenches the humanitarian vocation of this religion. As advocated by Sheikh Muhammad Rashid Reda, the rationale of such a position on the part of Islam stems from belief that the Divine Message entrusted by Almighty Allah to all His Messengers is one and only in terms of fundamentals and goals. It is geared to guide humans, promote their uprightness and bring about their happiness in this world and in the Hereafter.

The difference lies, in fact, in the forms of worship and the regulations, which varied according to the frame of mind of peoples and the requirements of time and place, until the Seal of Messengers was assigned to convey the basic principles that suited all times and places, authorizing all the while independent work and judgment in matters doomed to change with the change of situations and circumstances. It is a fact that this just, comprehensive outlook was a feature peculiar to Muslims, to the exclusion of followers of other religions and rites. It was a tribute paid by Almighty Allah to the human species, which paves the way for mutual affection and humane fraternity.[11]

---

10. The Al-Baqara Surah, verse 285.

11. ***Al-Wahyu Al-Muhammadi***, p. 153.

to the Torah and the Gospel. The seal of all religions, Islam is the all-encompassing divine message geared to the well-being and good fortune of humans, not only in this world but also in the Hereafter. Almighty Allah had sent Muhammad (PBUH) as a Messenger to the entire mankind, not exclusively to his Arab kinsmen. Says Almighty Allah in the Holy Quran : "*We have not sent thee but as a universal (Messenger) to men, giving them glad tidings, and warning them (against sin), but most men understand not*"[(4)], "*O Prophet! Truly We have sent thee as a Witness, a Bearer of Glad Tidings, and a Warner,*"[(5)] and "*Say : O men! I am sent unto you all, as the Apostle of Allah* ."[(6)]

Affirming the unity of the human species, the Islamic message upholds the equality of all human races, peoples and tribes. Almighty Allah says : "*O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily the most honored of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you.*"[(7)] The same message was conveyed by the Prophet (PBUH) in the Farewell Pilgrimage, when he recited that verse and maintained : "*No Arab is better than a non-Arab, nor a non-Arab better than an Arab, or a black than a red, or a red better than a black, except in piety.*"[(8)] The unity of the human species calls, therefore, for amity through mutual acquaintance, not enmity because of difference.[(9)]

---

4. The Saba' Surah, verse 28.

5. The Al-Ahzab Surah, verse 45.

6. The Al-A'raf Surah, verse 158.

7. The Al-Hujuraat Surah, verse 49.

8. Related by Al-'Adda' Ben Khaled in ***Al-Tabarani's Al-Mu'jam Al-Kabir.***

9. Muhammad Rashid Reda. ***Al-Wahyu Al-Muhammadi***, p. 169, Cairo Library, Sixth Edition, 1960. Full title of this book : ***Al-Wahyu Al-Muhammadi : Thubutu Al-Nubuwwati bil Qur'an wa Da'watu Shu'ubi Al-Madaniyyati ila Al-Islam Diinu Al-Ukhuwwati wa Ssalam***

perfectly to the urges of the sound, natural human disposition that quests life in peace, security and serenity. In this vein, the ultimate aim of enabling humans to civilize the earth in the broad civilizational and humanitarian sense will have been achieved.

This objective approach to the nature and mission of coexistence shows that coexistence is essentially an agreement between two parties, by virtue of which they not only elect to dispose the means of living among themselves in accordance with specific rules determined by themselves, but they also pave the way for a sustainable life on these lines. There is, indeed, a fundamental difference between life in isolation and life in coexistence with others. In the latter case, the interested party decides to enter into an exchange process with one or more parties, provided that the process be based on a set of approved common interests, objectives or needs.

As for inter-religious coexistence, it cannot, at any rate, flourish outside this general framework, or else it would lose its specificities and forfeit its goals. There is need to lay a sturdy groundwork upon which the edifice of inter-religious coexistence can be erected. But this is highly contingent on the mission of each religion, its principles and the values and ideals it advocates.

At this point, it would be pertinent to make a concise presentation of the characteristics of Islam, specially its principles that call for humane fraternity in its broad acceptation and vast prospects.

Islam, a Universal Message

Islam is the religion revealed by Almighty Allah to His Prophet and Messenger, Muhammad Ben Abdullah, may peace and blessing be upon him, through the Quran that gives credence

with the specter of atomic terror as a result of the proliferation in both blocks of massive destruction weapons, such as the atomic bomb. The rise of a third block, called the group of non-partisan or non-aligned states, reflected a desire to make peaceful coexistence the means of coordination of international relations worldwide, leading to the rejection of cold war and its cortege of bellicose practices and policies, such as the threat to use massive destruction weapons.[2]

It is stated in ***Al-Mawsu'a Al-Siyasiya*** that Nikita Khrouchtchev was the first one to launch the motto of peaceful coexistence, construed not in the sense of reneging on the express objectives of his country -the USSR-, but rather as an attempt to achieve these very goals in a way consistent with the developments witnessed at the time on the international arena, such as the balance of terror. The same encyclopedia maintains that the West prefers to view peaceful coexistence from the perspective of the maxim "live and let live."[3] However, this concept seemingly differs from the first one in terms of political and ideological purport in the first place.

But if take the first concept and interpolate it in the field of inter-religious cooperation within the specified bounds and bases, it can be safely affirmed that the subsequent inter-religious coexistence will become one of the prerequisites of life on earth. In addition to carrying out the pressing religious ordinance of achieving well-being and repelling misfeasance, it will respond

---

2. Ahmad 'Atiyyatu Allah. ***Al-Qamus Al-Siyasiy***, p. 310, Third Edition, 1968, Al-Nahda Al-Arabiya Publishing House, Cairo.

3. ***Al-Mawsu'a Al-Siyasiya***, p. 108, Arab Institution for Studies and Publishing, First Edition, Beirut, 1974.

interests. On the forefront of these are the maintenance of peace and security worldwide, the eradication of the causes of wars and conflicts, the repelling of all forms of aggression, injustice and persecution perpetrated against individuals and communities, the deprecation of all policies and practices that trample on the rights of peoples under any form, the combating of racism and the uprooting of the simple-minded, fallacious ideas of racial superiority.

Third basis : Cooperation for the achievement of the objectives agreed upon in consonance with the implementation plans laid down by the parties resolved to establish coexistence.

Fourth basis : Preservation of coexistence by enhancing mutual respect and trust. The aim is to avoid the derailing of coexistence from its set track whatever the reason, and check the preponderance of individual interest. To this end, recourse has to made constantly to the common denominators, the shared receptacle of uncontested values, ideals and principles that are not subject to controversy. This course will be further strengthened by the commitment of both parties to the legal principles carved out collectively by the international community, for they represent the product of the evolution of political thought, inspired from the values of the Revealed Religions throughout history.

In international politics, the widespread expression "peaceful coexistence" means the establishment of cooperation among States on the basis of mutual understanding and exchange of economic and commercial interests. The expression was coined in the aftermath of World War II and the subsequent cleavage of the world into two conflicting blocks of diametrically opposed ideologies. The call for a policy of "peaceful coexistence" emerged

communication and interaction channels as mandated by the requirements of civil and military life. In fact, coexistence was first known under this level.

Second level : Economic. It encompasses the cooperation relations knitted by governments and peoples on matters pertaining directly or indirectly to legal, economic or commercial concerns.

Third level : Religious, cultural and civilizational. This is the most recent level. It specifically covers the concept of religious or civilizational coexistence. Under this level, the aim is to muster up the will of followers of the Divinely Revealed Religions and of the various civilizations to achieve the common purpose of disseminating peace and security worldwide so that mankind may live in a climate of fraternity, cooperation and well-being.

It is on this third level, and in the light of the conceptual elements thus evolved, that the concept of "coexistence" will be mooted and its dimensions and scope explored.

Analysis of the conceptual elements involved in this level shows that religious dialogue, or more accurately inter-religious dialogue, must build on four bases. They are :

First basis : Free common will. The yearning for coexistence must spring from the self. It must not be subject to any pressures, or depend on fulfillment of some conditions, whatever the reason.

Second basis : Common approval of the goals set forth. This will give a practical dimension to coexistence in the best interest of both parties. In this respect, coexistence must seek, in essence, to achieve noble humanitarian goals and vital

On the Concept of Coexistence

Satisfactory analysis of the relationship between Islam and inter-religious coexistence hinges on an accurate definition of the term "coexistence" since the concept constitutes the backbone of the whole study.

Looking into the lexical meaning of the term "*ta'ayush*" (coexistence), from which the concept of coexistence actually originates, we find in the Al-Wasit Dictionary : "*ta'aayashu,*" meaning they lived in a climate of communion and amity -tantamount to peaceful coexistence-, then the term "*'aayashahu,*" that is to say he lived with him, with "*'aaysh*" meaning here life, and thereby all the means of subsistence, including food, drink and income. [(1)]

Beyond the lexical meanings of this widespread term, which emerged concurrently with the flare-up of conflict between the Eastern and Western blocks that ripped the world into two antagonistic camps before the fall of the Berlin Wall and the collapse of the Soviet Union, a close examination of the broad semantic spectrum of the term reveals a number of connotations, each loaded with conflicting concepts, which as yet can be grouped into three levels :

First level : Political and ideological. It involves the meaning of putting an end to conflict, bridging the former ideological rift between socialist and capitalist blocks, and endeavoring to contain or monitor this conflict by opening

1. *Al-Mu'jam Al-Wasit*, Arabic Language Foundation, Vol. 2, pp. 639-640, Dar Al-Fikr Publishing House.

Introduction :

One of the cardinal issues engrossing prominent scholars and intellectuals and focusing the attention of prospective studies specialists as well as all those concerned with the fate of civilizational race on all levels is inter-religious coexistence. Such engrossment is ascribed to the intricate nature of the subject, as it ramifies into complex issues and generates formidable challenges that, for the most part, go beyond the religious, civilizational and cultural scope, posing broader questions pertaining to thought and opinion at large.

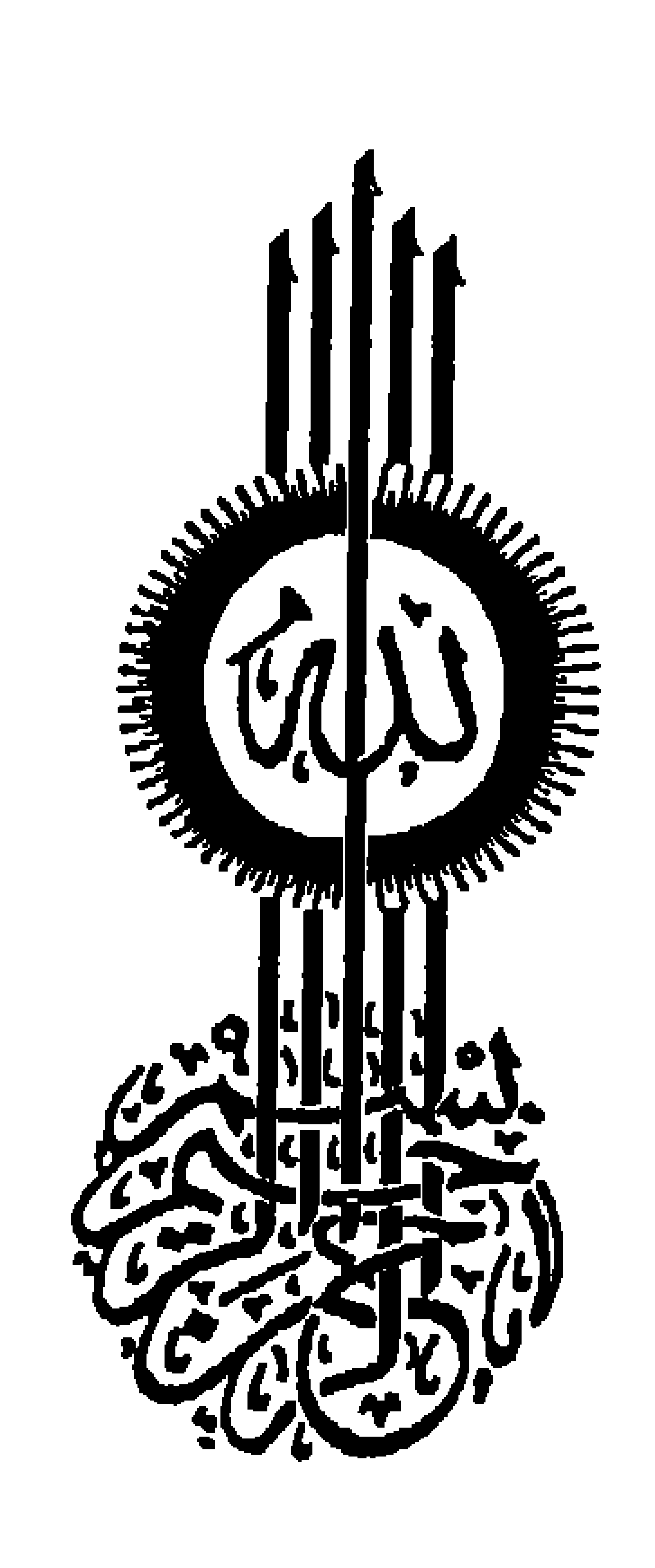
The considerable impact of the issue of inter-religious coexistence on the life of humans entails that Islamic thought adopt a clear-cut stance in this connection. The required stance must build on a body of judicious opinions that lay bare the truth and determine principles after dispelling dubious ideas and confuting fallacies.

Hence the importance of the subject of this paper. It will address the topic of Islam and inter-religious coexistence, showing the stance of Islam vis-à-vis coexistence in its own right, it being one of the loftiest human values, and vis-à-vis inter-religious coexistence in view of its sovereign importance. Deep pondering is needed, here, till we arrive at a crystal-clear position that expresses, in essence, the spirit of our civilization, tallies with our mission and reflects our earnest will to deal equitably with the other religions, cultures, and civilizations.

CONTENTS



Paper presented to the Tenth Conference of the Supreme Council of Islamic Affairs, held in Cairo, from 2 to 5 July 1998, on the theme of **"Islam and the 21st Century"**


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

Dr. Abdulaziz Othman Altwaijri

Director General of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization

- ISESCO -

Islam and Inter-religious Coexistence on the Threshold of the 21st Century

Publications of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization - ISESCO - 1419 A.H. / 1998 A.D.

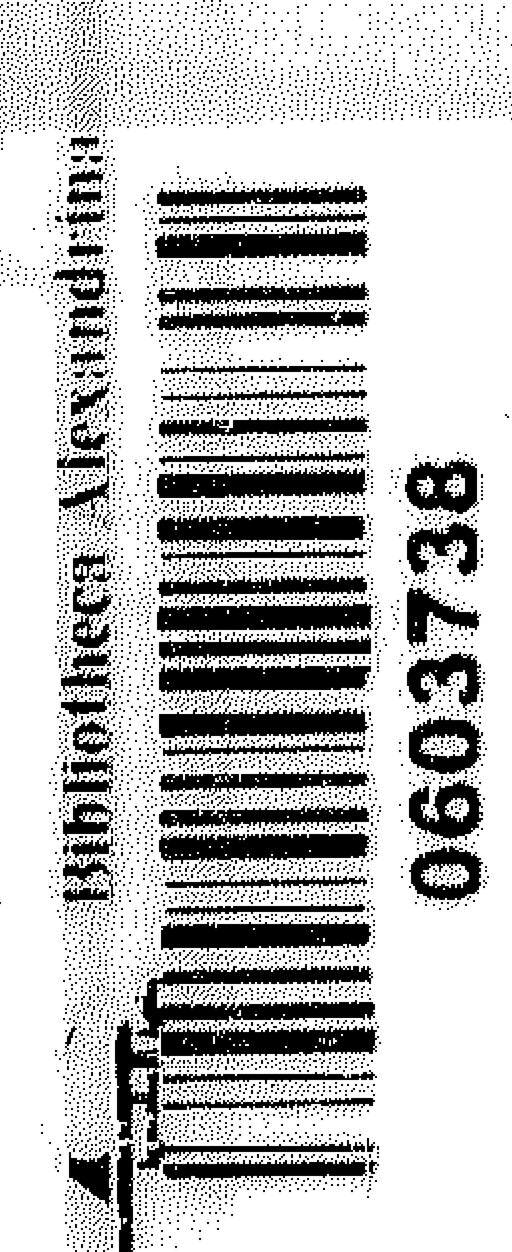


Islam and Inter-religious Coexistence on the Threshold of the 21st Century

Dr. Abdulaziz Othman Altwaijri

Director General of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization

- ISESCO -



French translation and Arabic original version included

Publications of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization - ISESCO - 1419 A.H. / 1998 A.D.